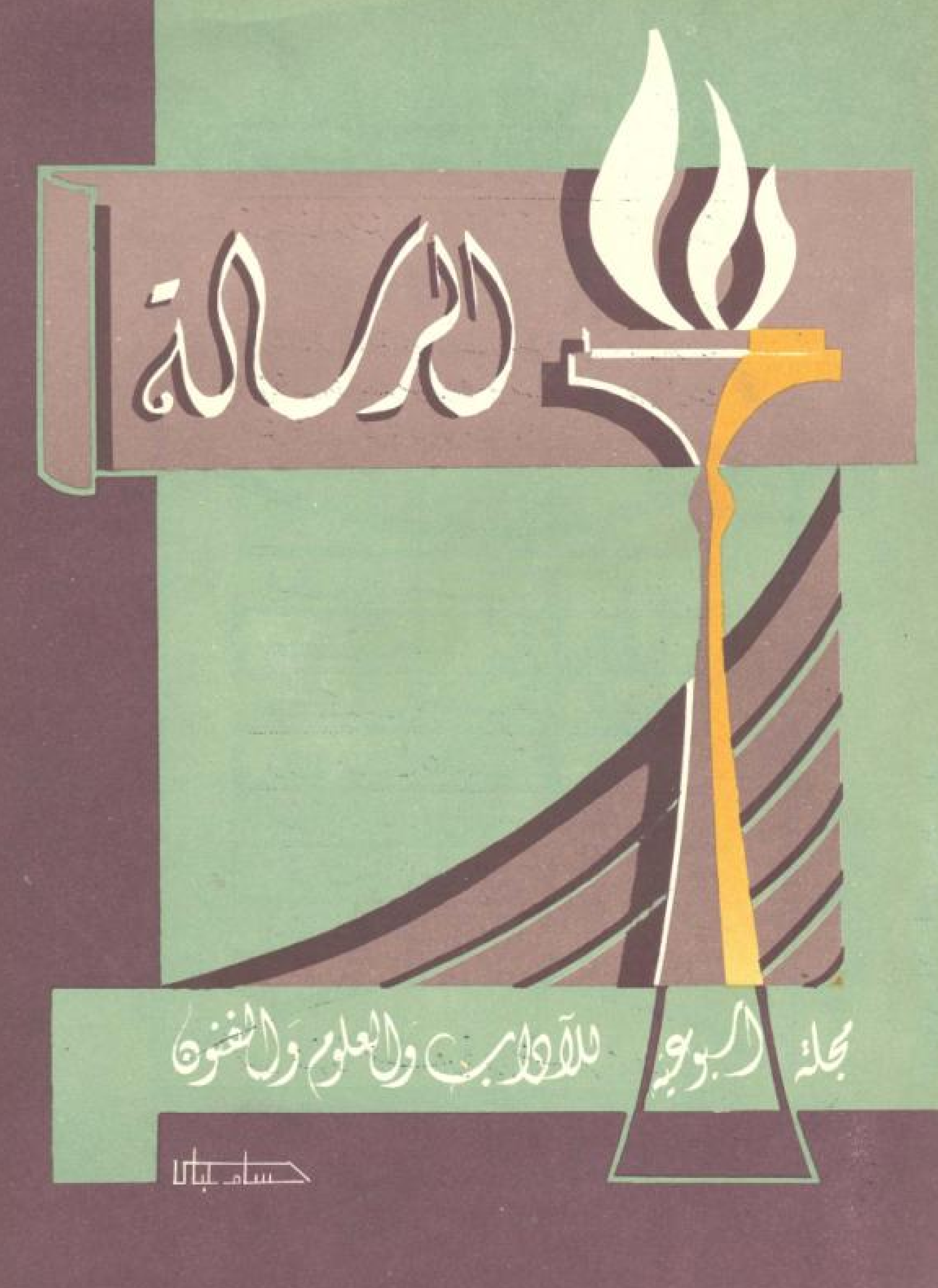

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

فى هذا العدد

صفحة

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .

الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة

العدد - ١١١٧ - الخميس ١٠ صفر ١٣٨٥ هـ - ١٠ يونيه ١٩٦٥ م - السنة الثانية والعشرون

تتمة الفحص عن أمر دمنة

بقلم : محمود محمد شاكر

(٢٠)

من أشد الغفلة أن نعيش هذه الأيام المظلمة بأعين مفتوحة وقلوب مغلقة . فالقلب اذا أغلقت الأبواب على بصيرته ، فلم يعد له نور ينبث وينفذ الى أعماق الحوادث العظام التي تحيط به من كل جانب ، كانت العين بعد ذلك أداة مجردة من الاحساس ، مكفوفة عن النفاذ واللمح ، لا تكاد تدرك مما ترى وتبصر سوى الظواهر الخداعة . وعندئذ يصبح الزمان حطاما من الساعات والأيام ، وركاما من الشهور والأعوام ، وتصبح الأشياء كلها صفا واحدا ، ونمطا متشابها ، قد خلا من الروابط ، وعرى من الأسباب . واذا بلغ الأمر بنا هذا المبلغ ، فقد يكون من أكبر الجهل أن يسمى هذا « **غفلة** » ، انما هو ضرب من الموت يصيب الحي ، وينقله الى لحد مظلم لا تراه العيون ، وهو بعد مقيم على ظهر الأرض .. يسعى أو يتحرك أو يتكلم .

من هذا الذي طمس الله على بصيرته ، فعاش هذه الأيام ، وهو لا يرى الدنيا من حوله بحرا رجافا يموج بأحداث متلاطمة ، تضرب شواطىء بلاد العرب وبلاد المسلمين بأمثال الجبال من لججه ؟ ومن هذا الأعمى المكفوف عن رؤية النار المتضرمة ، وهي تحتدم ، ومن حولها شرار الكهنة ينفخون في كير لا يهدأ ، (والكير منفاخ الحداد) ، ليؤرثوا شعاليلها حتى تتوهج ؟ ومن هذا الثرثار الذي أحاط به الحريق والغرق ، وهو لا يجد ما يقوله الا ما يتقاذفه لسانه من ألفاظ مسلوبة العقل ، تائهة في بيداء الخبل ، وهو يظن أنه مبين عن نفسه أحسن الابانة ؟ من هؤلاء ؟ وبأي عيون وقلوب يعقلون أو يبصرون ؟

اذا كان هؤلاء قد صاروا ، فيما قدر الله من قدره ، هم الذين يتولون اليوم قيادة جماهير الناس بسلطان الكلمة المكتوبة أو الكلمة المسموعة ، فقد صار واجبا على من لم يطمس الله على بصيرته ، وعلى من لم يقذف الله في عينيه بالعمى ، وعلى من لم يسلب الله لسانه العقل ليبتليه بالثرثرة ، أن يفض عن نفسه أغلال الصمت ، لكي يتكلم ويكتب ويبين ، ما وجد الى ذلك سبيلا . وقد رأيت ذلك واجبا علي ، لأني عشت أكثر من أربعين سنة ، وأنا أجاهد هذه الحياة التي أحاطت بي منذ ولدت ، وأبيت أن أقبلها على علاتها ، لأني منذ بدأت أعقل ما أنا فيه ، رأيتني أنشأ في قطيع يساق الى المجزرة وهو فرح بها نشوان ! رأيت مجتمعا يتمزق وهو ينشق عن كل تاريخه الماضي ، بخطاطيف قد علقت بلحمه ، تجذبه من هنا وهنا وهناك ، لا تكاد تدركها الأبصار ، ولكنها على ذلك خطاطيف ، كنت أجد مغرزها في لحمي ، وأحس جذبها في وجداني ، ويومئذ فزعت ! فزعت فزعا لا يطيق القلم أن يصوره في أسطر .

رأيت يومئذ دنلوب ، المبشر الخبيث الذي تولى قبل مولدي « وزارة المعارف » ، فوضع لأمتي تخطيطا كاملا يهدم كيانها ، ويذيب وجودها ، ويتركها رمة تتحرك في ثياب زاهية من الغرور والسخف . رأيت يومئذ هذا الشيطان الماكر ممثلا في كل علم تعلمته ، وفي الأسلوب الذي فرض على أن أتعلم به هذا العلم ، وفي الهدف الذي يرمي اليه بانشاء جيل من « المثقفين » ، لا يملكون شيئا سوى الغرور بأنهم « مثقفون » ، في أمة من « الغوغاء » ، يخيل اليهم أنهم هم أصحاب الحق في التعبير عنها ، وهم أصحاب الحق في تعليمها ، وهم أصحاب الحق في قيادتها والتحكم في مصيرها . فما رآه جيل «دنلوب» صوابا فهو الصواب لا غير ، وما رآه حقا فهو الحق لا غير ، وما رآه خطأ فهو الخطأ الذي ينبغي أن يصحح ، وما رآه باطلا فهو الباطل الذي ينبغي أن يزول !

ويوم بدأت أعقل ، كان « جيل دنلوب » ، قد انتشر واستوى على سوقه ، وتولى هذا الجيل تعليمنا ، وصار له رأي « ظاهر » في سياسة بلادنا ، وانفجر

الأمر انفجارا بعد ثورة سنة ١٩١٩ ، ووقع النزاع بين الفطرة السليمة التى تستكن فى قلوب الشعوب، وبين « **الثقافة** » المجتلبة التى تضرب على الأعين غشاوة، وعلى القلوب سدا صفيقا من الجهل والغطرسة. بيد أن هذا الصراع كان مفهوما على غير وجهه يومئذ، لأن مهارة المستعمر ، ودسائسه الخفية ، ومكره البعيد الغور ، جعل ظاهر الأمر صراعا سياسيا محضا ، اى صراعا بين أحزاب تريد أن تتولى الحكم، تحت سلطان هذا المستعمر . مع أن هذا الصراع فى الحقيقة كان صراعا بين حضارتين ، طال بينهما الصراع دهورا طوالا . كان صراعا بين أرض العرب والاسلام، وبين أوربة المسيحية التى صارت لها الغلبة فى الأرض . كان صراعا بين العرب ودينهم وآدابهم وثقافتهم ، وبين أعاجم أوربا ودينهم وثقافتهم . وكان عمل دنلوب ومدارسه ، وما يمثله من قوى التبشير والاستعمار، هو أن يحوز الى صفه عن طريق «**الثقافة**» أعوانا من أهلى وعشيرتى وأبناء أبى وأمى ، ليتكلموا بلسانه ، ويحاربوا بالكلمة وبغير الكلمة أهلهم وعشيرتهم وأبناء أمهاتهم وآبائهم . كان عمل دنلوب ومدارسه ، أن يشق الأمة بشقين : شق يدور فى فلك ثقافته ، كما يريد لنا أن نفهم ثقافته ، ويعطى هذا الشق كل أسباب بقائه من احترام وتقدير وغنى وسلطان وبهرج يفتن العيون . وشق متحير فى « ثقافته » يتشكك فيها يوما بعد يوم ، وتلقى على هذا الشق تبعة كل « تخلف » و « جهل » و «ضياع» و «بؤس » ، مؤيدا ذلك بسد كل الأبواب الداعية الى بقائه ، فيسلب كل احترام وتقدير وغنى وسلطان ، حتى يتمكن الشق الأول من قذفه كل يوم بما يتاح له من سهام تزيده جروحا تنزف ، حتى يتهالك صريعا مثخنا ، قد أثقلته الجراح فلا يطيق أن يتحرك . ثم لايملك بعد ذلك الا أن يستسلم ، ويترك الزمام للشق الأول .

من هذه العجالة الخاطفة التى أكتبها بغير تفصيل ، والتى بينت فى مقالاتى السالفة بعض ملامحها الظاهرة فى تاريخنا الحديث ، كالدعوة الى العامية ، وتحقير تراث العرب ، ومحاولة بث الرموز اليونانية والمسيحية فى آدابنا ، والايغال الماكر فى الطعن على ماضينا كله : رجاله وتاريخه ومعتقداته وشرائعه . من هذه العجالة الخاطفة ، أستطيع أن أقول للقارىء انى حين بدأت أكتب ، لم يكن من همى أن أناقش « أجاكس عوض » فى القمامة التى جمعها من «كتاب جروسيه الشهير فى تاريخ الحروب الصليبية »، وكتاب ستيفن رنسمان الشهير فى تاريخ الحروب الصليبية ، وكتاب الأستاذ داونى فى تاريخ انطاكية ، وكتاب بيزنطة للأستاذ ليفتشينكو » !! ومما كذب فيه من ذكر « المصادر العربية المعتمدة ، التى أرخت للمعرى وعصره » ، كما قال فى صدر المقالة الرابعة مما سماه « على هامش الغفران » . ان « أجاكس عوض » ليس شيئا يناقش ! هكذا قلت لاخوانى الذين طافوا بى يومئذ ، يحثوننى على الخروج من معتزلى ، وعلى حمل القلم بعد طول هجرانه . قلت لهم : انى لأرى عاقلا يؤخذ من قوله ويرد عليه ، انه شرلتان يضحكنى، لا مفكر يحركنى . قلت ذلك بخبرتى له منذ وقعت عينى على « كوميدياه » المضحكة ، التى سماها « بلوتولند ، وقصائد أخرى » ، من تأليفه ، والتى كنت أراها مثلا طريفا جدا « للخبل فى حالة تأليف»! أى انه خبل يؤلف ، ويترجم لنفسه ، ويكتب نثرا ، وينتقد الشعر ، ويقول شعرا أيضا !! وقمت من مكانى ابحث لهم عن هذه العجيبة التى هى «بلوتولند، وقصائد أخرى » ، ليعاينوها ، فليس الخبر كالعيان، كما قيل فى المثل .

فلما لم أجده ، قرأت مقالته الرابعة كلها ، وكنت اقتصرت على قراءة الجهل المكتوب بالخط النسخ فى رأسها ، الذى فيه ما مللنا ترديده من العبث ، حين أبدل « **الصليان** » ، وهو النبت المعروف ، بالصلبان، وهى جمع« صليب » فى شعر أبى العلاء . فاذا بى أرى ، لا انسانا أخذ الخبل أعضاءه كلها ، بل انسانا أعضاؤه نفسها قد صيغت من الخبل ، واذا بى أرى سماديره (وهو مايتراءى للمخمور) قد أوهمته أنه فارس صليبى قد جاء بعد قرون طوال ، ليقول للذين ردوا الصليبيين على أعقابهم : هاأنذا ! لاتظنوا أنكم هزمتم الصليبيين يوما ما ، أيها الحمقى ، فانكم فى عنفوان مجدكم كنتم تحت أقدامى ، فان « الباسيل فوكاس» : «أصدر بيانا ملتهبا وجهه الى خليفة بغداد، شرح فيه برنامجه العسكرى الصليبى كاملا ، وعدد فيه بأخذ دمشق ، وهى مسكن أسلافى ، والاستيلاء على نصيبين ، والموصل ، وحران ، والجزيرة ، وبلاد الديلم ، وعلى مصر ، التى سآخذ خيراتها أسلابا لى ، والويل لكم ياسكان الصحراء ، عودوا الى وطنكم صنعاء ، وهو بلدكم الأول ، عودوا الى الحجاز واتركوا لنا بلاد الاغريق . ثم ترتفع نبرته ارتفاعا فاحشا فيقول : سأسير الى مكة، ومن بعدها أتجه الى القدس،

سأفتح الشرق والغرب ، وسأنشر في كل مكان دين الصليب » !! ٠

ومعلوم بالطبع ، ان الأمر لم يكن « بيانا ملتهبا وجهه الباسيل فوكاس الى خليفة بغداد » !! بل كانت قصيدة سخيفة قالها مأفون صليبي يقال له «الباسيل فوكاس » ، مكتوبة باللغة العربية ! ولكن الفارس الصليبي « أجاكس عوض » ، كان يتحدث عن نفسه بلسان « الباسيل فوكاس » ٠ وزين له غروره بعد ذلك كله أن يسمى هذا الهراء « مانفيستو » ، صريح الأغراض والخطة ، وانه ، كما كذب (أعني : كما قال) « يعد في ذمة أكثر المؤرخين البداية الرسمية للحروب الصليبية » !! وهذا هراء آخر ٠ ثم يقول بعد ذلك الذى سماه « بيانا » أو« مانفستو » «قد كان ينتظر أن يكون له رد فعل قوى » ٠ ولكن التاريخ لا يذكر « ردا قويا على بيان فوكاس ، الا رسالة وضعها فقيه في طشقند ، اسمه القفال ، يرد بها على دعاوى الباسيلوس فوكاس ، وهي رسالة دينية تقارن بين العقائد » **ومعلوم بالطبع ايضا** ، أن هذا كله جهل وسوء أدب ، فالقفال أحد الأئمة الذين لا مكان للمقارنة بينهم وبين شيء من عظماء مفكرى اليونان ، فضلا عن هؤلاء السخفاء البيزنطيين ، كالباسيل فوكاس ، وسأكشف خبره حين يأتى ميعاده ٠ والذى كتبه القفال ، انما هو قصيدة رد بها على هراء فوكاس ، تسلية وضربا من التفكه ، لا « رسالة دينية تقارن بين العقائد » ! ٠

فلما قرأت هذا الجهل كله مصبوبا في ربع عمود من « صحيفة الأهرام » ، وعلمت ما وراءه ، وتبينت أشد منه في سائر المقالة ، راجعت نفسى ، وتساءلت عن حقيقة هذا الانسان « أجاكس عوض » ، فعلمت ان له سلطانا على بعض المغرورين به ، المخدوعين بالورقة التى منحتها اياه احدى عينات التبشير في « برنستون » !!وما أدراك مابرنستون ! فعندئذ عزمت على ترك كل ما كان يحول بيني وبين الكتابة ، وعزمت على أن أكشف عن حقيقة ما يجرى في بلادى منذ عقلت ، الى أن كان « أجاكس عوض » ، ثم اضع هذا « الأجاكس » الجديد في موضعه من الحرب الصليبية الدائرة اليوم ، لا في ميدان القتال ، بل في ميدان الثقافة والفكر والاجتماع ٠ فمن ظن بعد ذلك انى جئت أناقش «أجاكس عوض» ، فقد اخطأ التصور انما جئت لأكشف عن ثياب الفارس الصليبي المحترق، التى كان يخفيها تحت لفظ « الدكتور » ٠

ومع ذلك ، فقد أراد الله أن يحقق هذه الصفة التى استنبطها من مجرد قراءة ما يكتبه « أجاكس عوض » ، والتى كان بعض الناس يتشكك فيها ،ويظن أنى قد جمعت مهارتى لكى ابين عنها ، لا بشيء أكتبه أنا ، بل بشيء يقال فيه ما يجرى في المثل العامى : « مسكوا فرعون بخطه » ! فقد أراد «أجاكس عوض» أن يشيع زميل **محمد مندور** برثاء « مثقف » ، فكتب في صحيفة الأهرام (الجمعة ٢٧ من المحرم سنة ١٣٨٥) ، كلاما يمضغ فيه رموزا يونانية ويجترها، فزعم أن مندورا كان هو « اخيل » هازم « طروادة » ، وشبه نفسه بأجاكس ، وقد زعمت أن «آكل الرموز» هذا حين شبه نفسه بأجاكس ، دل على جهله من ناحية ، وكشف عن حقيقة نفسه من ناحية أخرى ، ولكنه مع ذلك طابق بهذا التشبيه كل ما وصلت اليه من نتائج في تحليل « أجاكس عوض » ٠

فان هوميروس ، كما قلت ، قد جعل « أجاكس ابن تلامون » ، وهو « أجاكس الكبير » ، بطلا من أبطال الاغريق ، ذا بأس شديد ، وقوة خارقة ، وعداوة ملتهبة ، ولكنه مسلوب العقل والحكمة ، اذا رأى الدم ثار فلم يقف له شيء ، وشبهه بالثور في النشيد الثالث عشر ، وبالخنزير المنقض في النشيد السابع عشر ٠ ومن كان يحسن قراءة ما يقوله الشعراء ، عرف أن هوميروس حين صور أجاكس في ميادين القتال انما صور وحشا والغا في الدماء ، مصبوبا في مسلاخ انسان ٠ كان ثورا اغريقيا بلا عقل ، ولذلك كانت نهايته أبشع نهاية ، وذلك أنه لما هلك أخيل ، واجتمع القوم يتقاسمون أسلحته النفيسة ، اعطيت هذه الأسلحة لأوليس ٠ فهاجت مرة أجاكس بن تلامون بالحسد والعداوة والحقد ، وظل جوفه يحترق ، فلما جن الليل ، هاج به جنونه ، وخرج من عقله جلة ، فانطلق بلا عقل ، فرأى قطعان الضأن المجلوبة طعاما لجيش الاغريق ، فظنها أعداءه ٠ فراح يضرب فيها يمينا وشمالا ، طعنا وضربا ، حتى وقعت على جنوبها مصرعه ٠ فلما ذر قرن الشمس، ذر في جمجمة هذا الثور الاغريقي شعاع من العقل ، فأخذ السيف وبقر به بطنه (أى : شقه) ، فهلك غير مأسوف عليه !

ولكن عسى أن يقول «أجاكس عوض » : لا ، لم أعن هذا الثور الاغريقي ، وانما عنيت الاغريقي

الأخر : « أجاكس الصغير » ، فأنا لا أستحسن هذه العاقبة ، وأبرأ من هذا التشبيه . فيقال له : نعم، ونعمة عين ! (أى تقر عينك بذلك) ، ولكن هل يزيدك هذا الا جهلا بمصير « أجاكس الصغير » ؟ فانه هو الذى غلا به جنونه حتى هجم على معبد الهته «أتينا»، منقضا على « كسندره » المتنبئة ، حين لجأت الى مذبحها . فجن جنون « أتينا » وصبت عليه غضبها، فلاذ منها بالبحر ، فلما كاد يغرق أنقذه «اوزيدون»، ووضعه على رأس صخرة ناتئة . ولكن « أتينا » أمرت «أوزيدون» أن يفلق الصخرة من تحت قدميه، لأنه دنس حرم الالهة بعدوانه ، ففعل ، وأرسلت هى عليه صاعقة محرقة ، فهلك غريقا محترقا ، كما قالوا فى أساطيرهم . ويقال بعد ذلك ، لأجاكس عوض : اختر بينهما ما شئت ، فكلاهما ثور اغريقى شديد البطش ، ولكنه زائغ العقل ، معروف المصير !

هذا تفسير « **الرمز** » الذى اراده لنفسه «اجاكس عوض » ، ولكن لماذا اختار لنفسه هذا « الرمز »؟ لا أستطيع أن أقول انه فكر قبل أن يختاره، لأنى أعلم انه لايستطيع ذلك ، وانما ألقى « الرمز » على لسانه ليكشف عن حقيقة هذا « الآدمى » التى بها يعيش بيننا ، والتى بها يكتب ، والتى بها زعم أنه « نازل الأبطال ، وصارع الأهوال ، فلم يلن له عزم ، ولم تنكسر له ارادة ، وحتى فى الأيام الخاسرة ، خرج بشريف الندوب » !! انه « رمز » جاء كالالهام ، ليكشف لنا عن حقيقة هذا المحترق الصليبى ، ويحدد لنا مصيره .

ان « أجاكس عوض » ، منذ كان طالبا فى كلية الآداب ، فى قسم اللغة الانجليزية من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٧ ، لم يزل هو هو ، بل زاده أساتذته أمثال فرنس ، وسكيف، ودافيدس الاعرج ، وبيفن، وسواهم ، وهم رجال معروفون بأحقادهم الصليبية، وباعمالهم فى المخابرات البريطانية ، زاده هؤلاء غرورا ، وملأوه بأوهام يعيش بها ، حتى أرسلوه بعد ذلك الى « كلية الملك » بكامبردج من سنة ١٩٣٧ ، الى سنة ١٩٤٠ ، وهناك كان ما كان ، حيث « عاهد الثلوج الغزيرة المنشورة على حديقة مدسمر ، فى خلوة مشهودة بين أشجار الدردار ، عند اشلال بكامبردج » ! هذا مختصر تاريخ « اجاكس عوض »، بلا حواش ، وبلا زينة ، وبلا دكتوراه ! وهذه هى حقيقة صورته التى تلتف عليها تجاليده ، والتى من أجلها اختاره من اختاره ، ليكون ، فيما يتوهمون خليفة للتالف القديم ، والمبشر المحترق ، والذى لا يزيد عقله كثيرا ولاقليلا عن عقل «أجاكس عوض»، المعروف عند الناس باسم « سلامة موسى » . ر « سلامة موسى » هذا ، هو الذى وضع الحبل فى عنقه حين اختاروه، وجره من حومة الحمول والتفاهة، الى الظهور فى المجلة اليهودية المعروفة باسم «الكاتب المصرى » ، وذلك فى سنة ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ ، تمهيدا لاعداده للمهمة التى يباشرها اليوم ، وهى مهمة « المبشر الثقافى » فى صحيفة الأهرام !

فهذا المسكين لا يزال يتراءى له أنه « أجاكس » ، الثور اليونانى القديم ، وانه يحارب فى حصار « طروادة » ، وانه سوف يدمر « طروادة » ويحرقها بيديه ، فكان أثر هذه السماذير التى تفوح رائحتها حقدا معتقا فى دنان الجهل والغرور ، لم يزل بينا فى كل شىء يكتبه منذ « بلوتولند » وقصائد أخرى » ، انه يتكلم بالفاظ شنيعة ظامئة للدم ، ولكنها تستتر فى ثوب من الجبن والتذلل أحيانا ، حتى ينخدع بها من لا يحسن أن يحل «الرموز» الخبيثة المنتشرة فى كلامه . وقد كشفت من قبل عما يستره فى « بلوتلند » ، ولكنه بعد دهر من كتابتى جاء يبرق ويرعد ، ويضرب الامثال اليونانية ، مستترا باسم محمد مندور ليقول : « خرجنا معا فى صباح الحياة الى قصر الربة أثينا ، صانعة الدروع لتصنع لنا دروع الفكر ، وتملأ جعابنا بسهام الحرية. وفى صباح الحياة عدنا معا لنحاصر طروادة ، مدينة الموت ذات الأبراج السوداء والأسوار العالية .. هذه المدينة السوداء ذات الابراج الكئيبة ، والاسوار العالية ، لا بد أن تدمر ، ولا بد أن تحرق ، كما احترقت طروادة فى القديم » . هكذا قال : ثم قال بعد قليل : « ولكن طروادة الجديدة ، بعد أن نضب منها الرجال ، غدت ترسل علينا من أبراجها السوداء ، أسرابا من الخفافيش ، ومن طاقاتها وكواها جيوشا من الهوام وخسيس الحشرات ، منها الخنافس والعقارب والحيات الصغيرة بحجم الكف ، والجعارين الذهبية التى خرجت ألواجا أفواجا من خزائن الملك ميداس ، وهو عدو لا قبل لأحد به فى معارك الرجال مع الرجال ، وليس فى سلاح الربة أثينا ما يصلح لقتال هذه الهوام » .

ما طروادة الأولى ، وما طروادة الجديدة ؟

«طروادة الاولى» ، التى زعم كاذبا أنه خرج هو ومندور لتدميرها وحرقها ، هى مصر العربية

الاسلامية ، فيما قبل سنة ١٩٥٢ ، و «طروادة الجديدة» ، هي مصر العربية الاسلامية ايضا فيما بعد سنة ١٩٥٢ . فبأى كذب يستطيع هذا الكذاب «أجاكس عوض» ، أن يدعى أن له شأنا يذكر أو ينكر في ازالة الفساد الذى كان في مصر العربية الاسلامية فيما قبل سنة ١٩٥٢ ؟ اين كان هذا المدعى الفاجر اللسان ؟ وبأى شيء قائل ؟ وأى عمل كان له فيما قبل سنة١٩٥٢، يستطيع معه أن يقول:انى قد جاهدت في سبيل تحرير بلادى من الطغيان والظلم والفساد؟ ان الثور اليونانى القديم « اجاكس بن تلامون »، كان محاربا سفاحا لا تروعه المعارك ، ولكنه لم يكن كذابا. أما «اجاكس عوض » ، مسخ « اجاكس بن تلامون » الذى يعذبه بالدخول في مسلاخه اللفظى ، فكل قوته وباسه في الكذب ، والشرلتة وسوء الخلق وزعارته ، (أى شراسته) ، بلا حرب ولا معارك ، انما يحارب بالمكر ، ويدخل معارك بالخداع والتنفخ والتعالى الأجوف ، على ما دربه مدربوه تحت اشجار الدردار عند الشلال بكامبردج ، لكى يكون مبشرا جامعا لصفات المبشر وأخلاقه .

وأما **«طروادة الجديدة»** ، وهى مصر العربية الاسلامية ، التى هبت فيما بعد سنة ١٩٥٢ : فليحدثنى هذا الكذاب كيف أرسلت عليه من ابراجها السود أسرابا من الخفافيش ، ومن طاقاتها جيوشا من الهوام والحشرات ؟ ومن يكون هو حتى تعنى «طروادة الجديدة» نفسها ، لترسل عليه ما شاءت له سماديره أن يقول ؟ أهو «أجاكس عوض» ! انى لقيت في شوارع القاهرة ، وفى جمعية الشبان المسيحية ، وفى الجامعة الامريكية ، وفى مواضع لا احصيها ، رجالا ونساء من أصفق خلق الله وجوها من المبشرين في ثياب قسس ، وفى ثياب علماء ، وفى ثياب مفكرين ، وفى ثياب مستشرقين ، ولكنى لم أتع في احد منهم على هذا القدر من صفاقة الوجه ولا« سلامة موسى » بلحمه ودمه ! واذا قال أحدهم شيئا من هذا ، فانما يقوله مخافتا به بين شيعته ومن يقع في حبائله من الشباب . أما أن يقوله علانية ، وفى صحيفة كالاهرام ! فهذا شيء فوق طاقة ما يملك «التبشير» من صفاقة وزعارة !.

أيظن هذا المتكذب على الموتى ، أن مندورا كان ممكنا أن يكون في مثل خفة عقله حتى يقول له في وصيته وهو يحتضر : «مدينة الموت ، ذات الابراج السوداء والأسوار العالية ، **(يعنى طروادة الجديدة ، أى مصر العربية الاسلامية فيما بعد سنة١٩٥٢)** لابد أن تدمر ، ولا بد ان تحرق كما احرقت طروادة فى القديم. اياكم ان تقنطوا مهما كثرت من حولكم الهوام والاشباح » ، ثم يقول هذا المضطرب سائل عقله : « ليت لى ميتة مثله وسط الطعان » ! (يعنى مثل ميتة مندور) ! أيظن هذا المسكين المحترق أن مندورا كان يلبس تحت ثيابه سلاح صليبى محترق ، حتى تكون هذه وصيته وهو يحتضر ؟

وفيم يقول هذا الكلام ، بهذه الجراة وبهذه الزعارة ! أيقوله لأنه يعلم أن تآمر الأمم الغربية المسيحية وذيولها من ابناء صهيون ، قد آن ان يحقق مايصبو اليه ؟ أيظن هذا المأفون أن اقدام العالم الاوربى المسيحى على اعداد غزو شامل للعالم العربى والاسلامى (كما يتبين ذلك من الوثائق التى تنشرها الصحيفة التى يعمل هو فيها مبشرا ثقافيا) ، يمكن أن يؤدى الى تحطيم « طروادة الجديدة » ، وهى الجمهورية العربية المتحدة ، فيريد أن يسبق هو الى فضل مذكور ، بأن يجعل نفسه هدفا حصينا منيعا، أو محاصرا شديد البأس والسطوة ، لا تملك « طروادة الجديدة » ، بعد أن نضب منها الرجال ، الا أن ترسل عليه أسرابا من الخفافيش ، وجيوشا من الهوام وخسيس الحشرات ! أهذا تصور عاقل مدرك ، أم تصور مفلت من أسوار البيمارستان !

وأما « **الملك ميداس** » ، فانى كنت قد تركت حل رمزه الا اشارة عابرة ، ولكنى وقد حللت رموز آكل الرموز « اجاكس عوض » ، فمن غير المستحسن أن أدع حل رمزه ، ولكنى أرى أحسن وجه لحل هذا الرمز ، هو أن أقص القصة ، وأدع للناس تفسيرها. وذلك أن « ميداس » كان ملك فريجيا ، فخرج يوما فلقى الاها (!!) يقال له « سيلين » ، وجده نائما ، فلما استيقظ سأله ان يعلمه الحكمة . فذكر له «سيلين» أمر مدينتين : احداهما يقال لها «أوسيبيس» وهى مدينة مسالمة تقية ، والأخرى يقال لها « ماخيموس » ، وهى مدينة محاربة جبارة . كان أهل المدينة الأولى سعداء ، فاذا جاءهم الموت جاءهم بين ألحان الغناء ورنات الضحك . أما الأخرى ، فكان الوليد منهم يولد مدججا بالسلاح ، وتسيل أرواحهم على ظبات السيوف . وكان شعب « أوسيبيس » ، وشعب « ماخيموس » يمدان سلطانهما على ممالك واسعة متراحبة الأطراف ، وكان لهما غنى لا مثيل له ، وأرضهما تفيض ذهبا وفضة ، حتى صار عدان

المعدنان من وفرتهما بمنزلة الحديد عند سائر الأمم . وخرج أهل المدينتين يوما ليروا طائفة من البشر يعدون أسعد من على الأرض من الفانين . فلما جاءوهم رأوا بؤسا مهلكا يعده أهله سعادة ، فانقلبوا راجعين الى أرضهم ، وعلموا أنهم بما هم فيه من الذهب والفضة أسعد أهل هذه الدنيا . فلما سمع ميداس ذلك ، أحب أن يكون له من سعادة «أوسيبيس» و « ماخيموس » نصيب ، فسأل « سيلين » أن يسدى اليه يدا ، ويتخذ عنده صنيعة ، فلا يمد يده الى شيء الا انقلب عسجدا (أى ذهبا) . فلما كان ذلك له ، لقى العنت ، فانه لم يمس طعاما ولا شرابا الا صار عسجدا ، حتى بلغ منه الجوع والعطش وكاد يهلك ، ولم ينقذه الا أن استرد « سيلين » ماوهبه . وتتمة خبر « ميداس » ، أنه خرج بعد ذلك فضل في الغابات ، حتى وجد نفسه على جبل ، واله هذا الجبل يقضى بين « بان » و « ابولون » في نزاع كان بينهما ، فقضى اله الجبل لأبولون دون « بان » ، فثار « ميداس » لأنه رأى هذا القضاء غبنا فاحشا وجورا ، وأعلن أن هذا حكم جائر . فجن جنون « ابولون » ، ومسخ أذنى ميداس فصارتا أذنى حمار ! وارتاع ميداس ، ولبس خمارا يتدلى على جانبي رأسه ، ليستر ما ابتلاه به « أبولون » . وجهد أن لا يعلم ذلك عنه أحد ، الا حلاقه ، فانه ائتمنه على سره ، وأنذره اذا باح به أن يريق على الثرى دمه . وغلا السر في قلب الحلاق البائس ، وأعياه طول كتمانه ، فبرز الى العراء ، فاحتفر حفيرة في أرض بعيدة على حافتها يراع نابت (واليراع : القصب الذى تتخذ منه المزامير) ، ثم انكب على الحفيرة وأدنى منها فمه ، وأسر اليها بسر الملك ، وأن له أذنى حمار . وما هو الا قليل حتى جعل اليراع اذا ما فيأته الرياح مرة هنا ومرة هناك (فيأته الريح : أى حركته يمينا وشمالا) ، تغنى بسر الملك ، واستودعه الريح وهى بدورها تذيع الأسرار لاتكتم سرا ، فذاع في الناس خبر « أذنى ميداس » ، وانكشف لهم المستور من سره !

و «أجاكس عوض» ، أجهل من « **حلاق ميداس** » ، لأنه لجأ الى « الرمز » ، و « الرمز » أحيانا أشد اذاعة للأسرار من اليراع والريح ! فهو بهذا الرمز قد كشف عن مكنون سره الذى في قلبه من شدة بغضائه للملك « ميداس » ، وأنه يعد نفسه قرينا له ، يريد أن يقف على أطلال « طروادة الجديدة » ، ملكا متوجا ، بنفس الجنون المطبق الذى تملك « المعلم يعقوب » ، حين انحاز الى جيش نابليون ، وأنشأ فرقة ضالعة معه ، تريد أن تزيل ملكا يتوهمه قد بقى مطبقا على أرض مصر اثنى عشر قرنا ، فجاء هو ليرث الملك ، ويتوج على مصر ملكا له فى أرضها الأمر والنهى !

والسل الذى يأكل قلب « أجاكس عوض » ، ومن على شاكلته من دمى التبشير ولعبه المنتشرة في كل مكان ، هو أن « **الملك ميداس** » قد استطاع أن يستنقذ كلمة واحدة من أفواه عواة كثيرين ، كلهم «أجاكس» ، كانوا قد اتخذوها منذ سنة ١٨٦٥ وما قبلها رقية يدورون بها فى العالم العربى ، ليشقوه شقا عن العالم العربى الاسلامى ، حتى جاء زماننا ، فكان فى أرض العرب «أجاكس» و «أجاكس» و «أجاكس» ، يريدون أن يفجروا في قلبه أعظم قنبلة مدمرة ، أشد فتكا من « لواحظ المغنية » ، التى تمنى « أجاكس عوض » ، أن تنسف « المبغى الكبير » وهو « **بغداد** » ، كما جاء فى تفسيره لشعر بدر شاكر السياب ، الذى زعم أنه « لا يقلد تكنيك اليوت ، بل يتمثله ويحتويه ويغتذى به، بطريقة الأسموز، أو الانتشار الغشائى» ، أو كما قال هذا الشرلتان الأسموزى !!

أى حقد ينشق عن هذا الاهاب المحيط بجثمان « أجاكس عوض » ؟ فهو منذ كتب « بلوتولند » ، وهو ينضح ضغينة مترسبة راسخة فى أقصى غيب انضم عليه بنيانه . منذ السطر الاول فى «بلوتولند» ترى حقدا يتبع نباح المسعور : « لقد مات الشعر « العربى » (وهكذا وضع الصفة بين قوسين للتنبيه ! ما أعجب حقده !) ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت أحمد شوقى . مات ميتة الابد» . انظر الى الفاظه ، انظر الى صرخات الجنون المتشفى فى ترداد لفظ « مات » ، و « موت » و « ميتة » ، ثم كلمة « الأبد » . هل يمكن أن يصف هذا الشىء أحد بغير ما وصفته ؟ وهو لم يعاد « الشعر » لأنه شعر ، بل عاداه وحقد عليه ، وألقى عليه بغضاءه ، لأنه « **عربى** » ، وأبان بعد قليل أنه « **قرشى** » !! هذا المسكين البائس المحترق ! لم يزل ينحط فى أحقاده وأضغانه ، حتى قال : « والمحدثون ينسون أن القدامى (يعنى شعراء العرب) كانوا صعاليك ، يتسكعون بين الخيام ، أو فى أزقة بغداد » ، فهل تظن أن « آكل رموز اليونان » « أجاكس عوض » ، قد قال مثل هذا لأنه محب للعرب ! دارس لآدابهم ! أم تراه قاله وهو يتفزع من

بغضائهم ، ولا يراهم الا صعاليك يتسكعون بين الخيام او في أزقة بغداد! لا بالعين التي يرى بها هوميروس! ولعله كان يعيش في القصور ذوات الأبراج المشرفة ، والأسوار المذهبة !! ان هذا الحقد الاعمى ، لا يلد الا هذه الألفاظ المطموسة البصر !!

فمن أجـل هذا الحقـد المتلجن في غيب ضميره (كل شيء يتلزج من الوسخ ، فقد تلجن) ، والذى يصبه على الورق صريحا أحيانا ، ومغلفا أحيانا ، ومدسوسـا في ثنايا السـياق احيانا اخرى » لم أتردد قط في الابانة عن صريح تحليلى لما ينطـوى عليه « أجاكس عوض » ، من عيوب فادحـة في أخس الناس شانا ، فما ظنك بآدمى من هذا النوع !! فرضت علينا مؤسسـة الاهرام قراءته ، وأتاحت له ما لم يتح لاحد من قبله أن يتخالع في سـطورها تخالع من قد تخبطه الشيطان من المس ، وأن يتيه على تاريخ العرب وآدابهم ورجالهم تيه أفاق صليبى « كان يبرى بظفره القلم » ، كما يقول المتنبى ، فنزل أرض العرب فظن في نفسه الظنون ، وأن يركب مرة أرجوحة الفن فيتحدث في الشعر وفي غير الشعر بلسان تترنح ألفاظه عليه ، ويتغنى بذم العـرب وشعر العـرب بلا حيـاء ، وأن يقـدم اقـدام المستهين الذى لا يبالى فيفسر **القرآن** بسـوء أدبه وقلة حيائه ونذالة تصوره للمعانى ، وأن يعمد بالمكر الخبيث البشـع المستقذر ، ليجعـل اسراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجه ، أسطورة مقتبسة من أساطير البذاء اليونانى الذى يتعبد له ، وأن يأتى مستهزئا اسـتهزاء الجبناء ، متسـترا أخبث التستر ، ليقول أن الاسلام قد أضفى على نظمه المالية طابعا دينيا ، يجعل من اليسير على الحكام أن يتلاعبوا بها !! واحدة ، وأخرى أن عيب الاسلام انه خلا من «نظام كنسى» يحجب الموارد المالية التى تجبى باسم الدين عن السلطة السياسية !! وأن يختم جولته في أرض « طروادة » مدمرا متلفا قليل الحياء ، سيىء الادب ، فيأتى في مسلاخ أجاكس ، لابسا لأمة المحارب ، حاملا رمح أجاكس ، الذى كان طوله اثنين وعشرين ذراعا بذراع اليونان !! نافخا شدقيه ، محمرة عيناه ، قالبا حماليقه ، يهددنا بأن سوف يدمر علينا طروادة الجديدة ويحرقها تحريقه كما حرقت طروادة في القديم ، طالبا **« ميداس »** نفسـه ذا الجمارين الذهبية الـكثيرة !! ما أسـفهه رامزا !!

من هذا الطليق من القيود ، المفلت من الاسوار ؟ من « أجاكس عوض » الذى يتخابث علينا ، ويريد أن يخفى وراء ألفاظه وأسمائه التى يحاول أن يرددها في بعض كلماته ، مكان ضغنه الدفين ، وحقيقة حقده الغبى ، ويظن أنه بذكر بعض الاسماء ، قادر على أن يحجب عن عيوننا مايضطرم في قلبه من نار ؟ ان « أجاكس عوض » ، ليس واحدا ، كما يدل عليه ما أكتبه ، ولكنه جماعة كثر ، قد انبثوا في كل مكان، وهم يطيفون به اطـافة الوثنى بالصنم ، لا لأنه شيء في نفسه ، بل لان المدير الذى يدير هذه الدمى ، قد جعله منهم بمنزلة ، ليضمن سهولة تحركهم في نواحى نشاطهم ، تحت ثياب يتخفون فيها ، وهم جميعا يستعدون لوقت قد وقتوا له ، ليتكلموا عندئذ ، بما لا يبلغ فيه كلام « أجاكس عوض » ، مبلغا يذكر ، وليعملوا يومئذ عملا أقل ما يقال فيه : انه تحقيق كامل للسمادير التى تجول في جمجمة « أجاكس عوض » ، من ذلك أسوار «طروادة الجديدة» وأبراجها السـود ، ودخولهم يومئذ معاقل **«طروادة الجديدة »** بأقدام ثابتة ، يخوضون في الدماء الحمراء والنيران الحمر ، والاعلام الحمر ، كما ذكر ذلك « أجاكس عوض » في ختـام مقدمته لبوتولند وقصائد أخرى ، من تأليفه .

وقد قصرت هذه الكلمة على الفحص عن أمر « دمنة » ، وهو « أجاكس عوض » ، ولكنى سأنقل خبر كل « دمنة » ، وأكشف عنه ما استطعت ، ولكن في اطار من بيان الاهداف التى يسـعى اليها الذين يضمرون لنا الشر ، ويتوهمون أن أوان الغلبة علينـا قد حان ، وأن التاريخ قد أعد لهم صفحات بيضا ليسطروا فيها لطروادة الجديدة ، بعد تدميرها وحرقها ، تاريخا لا يذكر فيه اسم العرب ، ولا اسم الاسـلام الا بالنقيصة والقدح والثلب • و « تبت يدا أبى لهب وتب »

« محمود محمد شاكر »

كلمات في كلمات

بحوث لغوية وتاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

٢٠ ـ بين يوسف وموسى

من الممكن أن تعد قصة موسى مكملة لقصة يوسف عليهما السلام ، فكلتاهما تتصل بحياة بنى اسرائيل فى مصر ، والفرق بينهما أن الظروف التى أحاطت بيوسف يسرت دخولهم مصر ، أما الظروف التى أحاطت بهم من بعد يوسف ، وفى حياة موسى فقد أدت الى خروجهم من مصر .

وبيان ذلك أن الظروف فى أيام يوسف كانت مواتية ، لأن حكام مصر من الرعاة الساميين كانوا يعطفون على أبناء جنسهم بنى اسرائيل الذين كانوا مثلهم من الساميين ، ومن ثم كانوا ييسرون لهم سبل الحياة الطيبة فى مصر .

وتغيرت الأحوال من بعد يوسف ، وجلس على عرش مصر ملوك مصريون ، فما ان تم لهم الأمر حتى أخذوا يناوئون بنى اسرائيل ويناصبونهم العداء ، لما كان بين الهيكسوس وبنى اسرائيل من علاقة وولاء تشبه التحالف . وأخيرا خطا ملوك مصر خطوة حاسمة فى سبيل التنكيل ببنى اسرائيل ، فأخذوا يعذبونهم أشد العذاب ، ويفرضون عليهم الأعمال الشاقة ، ويقتلون أبناءهم ويستحيون نساءهم .

ولكن الله تعالى الذى لا يقر الظلم ولا يرضى عن القوم الظالمين لم يكن ليذر الظلمة والمظلومين على ما كانوا عليه ، فشاءت حكمته تعالى أن ينقذ هؤلاء المعذبين ، فأعد لانقاذهم رجلا منهم . صنعه على عينه قدير الوسائل الكفيلة بانقاذه من كيد فرعون وقومه . ولم يقف الأمر بعناية الله عند هذا الحد ، بل انه سبحانه اراد أن يكون لموسى شأن عظيم وقدر رفيع فى نظر فرعون والمصريين ، فقدر أن تكون تربيته فى القصر الملكى نفسه ، فى رعاية أهل فرعون أنفسهم ، ولم يكونوا يعلمون أن هذا الذى يربونه فى قصرهم وفى رعايتهم هو الذى سيكون عما قريب منقذ بنى اسرائيل من أغلالهم .

وقصة موسى أشهر من أن تذكر ، قصتها التوراة على وجه التفصيل فى الأسفار الاربعة الاخيرة من التوراة وهى أسفار : الخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية .

وقصها القرآن الكريم بأساليب مختلفة فى مواضع مختلفة ، فنجدها فى بعض السور طويلة مفصلة ، وفى بعضها قصيرة مجملة .

وربما يسأل سائل عن السر فى تكرار سرد القصة الواحدة فى القرآن الكريم ـ فنجيب بأن الله تعالى يقص القصص على رسوله الكريم للتسلية والاعتبار ، ومن ثم اقتضت حكمته تعالى أن يقص القصة أو جزءا منها كلما دعت الحاجة الى ذلك، وكلما اقتضت حالة الرسول أو أصحابه أو المشركين أن يذكروا بأحوال من سبقهم من الأنبياء والشعوب ، وبما حل بالمطيعين من عطف الله ورحمته ، وبما نزل بالضالين من عذاب الله ونقمته ، وبأنه عز وجل ينصر رسله والذين آمنوا .

هذا وان القرآن الكريم لا يكرر القصة الواحدة بأسلوب واحد فى جميع الحالات ، بل انه يقصها بأساليب مختلفة فى بعضها ايجاز وفى الآخر اطناب، طبقا لما يتطلبه المقام .

يضاف الى ذلك أن القصة لا تقص فى الغالب كاملة بل انها تقص مجزأة أو مقسمة موزعة على سور القرآن الكريم . ومن يتتبع آى الذكر الحكيم يجد أن ما يقص من القصة لا يزيد ولا ينقص عن

القـــدر المناسب الذى يتطلبه المقـــام ، ويستدعيه السياق ٠

وهذه لعمري ناحية بارزة من نواحى اعجاز القرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله الأمين ليكون هدى للمتقين لا ليكون مرجعا للمؤرخين ٠

٢١ ـ بين موسى وهارون

تذكر التوراة أن عودة موسى من أرض مدين كانت فى حدود سنة أو اثنتين من وفاة فرعون مصر الذى بلغ تعذيب بنى اسرائيل فى عهده أقسى الدرجات واقصاها « خروج ٤ ـ ١٩ » ٠ فاذا وافقنا على رأى الثقات من المؤرخين وهو أن فرعون هذا كان رمسيس الثانى الذى انتهى حكمه سنة ١٢٢٥ ق م تقريبا قلنا بأن عودة موسى من أرض مدين كانت سنة ١٢٢٤ أو سنة ١٢٢٣ ق م تقريبا ، وكان ذلك فى عهد منفتاح (١٢٢٥ ـ ١٢١٥ قم) ٠

ويبدو أن موسى قد شعر بأنه ـ لأمر ما ـ لايقوى وحده على مجادلة فرعون ومحاجته باللغة المصرية ، وانه لذلك لا يستطيع أن يؤدى الرسالة على الوجه الأفضل الأكمل فخاطب الله تعالى وقال : « رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف أن يقتلون ٠ واخى هارون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا يصدقنى » القصص : ٣٣ ـ ٣٤ ٠ ويجيب الله طلب رسوله فيقول : « سنشد عضدك بأخيك ، ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون » ٠ القصص ٣٥ ٠

وانطلق موسى وهارون مؤيدين برعاية الله الى فرعون مطيعين لأمره حيث قال « فاتياه : (أى فرعون) فقولا انا **رسولا** ربك » طه : ٤٧ ، وقال : «فاتيا فرعون فقولا انا **رسول** رب العالمين» الشعراء : ١٦. فكانا رسولين اثنين حسا أو عدا، ورسولا واحدا معنى ، لانهما كانا متكاملين يكمل كل منهما الآخر ، ومن ثم كانا بمثابة شخص واحد ٠

هذا هو الذى نفهمه من آى الذكر الحكيم فى منزلة هارون من أخيه موسى عليهما السلام ، ولكنا نجد فى التوراة قولا منسوبا الى الله تعالى يخاطب به موسى ترجمته : « انظر ! انى جعلتك الاها لفرعون وسيكون اخوك هارون **نبيك** ، أنت تتحدث بما آمرك به ، وهارون أخوك يخاطب فرعون ليخرج بنى اسرائيل من أرضه » (خروج ٧ : ١ ـ ٢) فليت شعرى كيف يصدر هذا الكلام أو مثله عن الله تعالى ؟ وكيف يكون موسى الاها ، والله سبحانه هو الاله الذى لا شريك له ؟ أم كيف يكون موسى بمثابة اله وهو سبحانه ليس كمثله شىء ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ٠

٢٢ ـ عود الى الوعود

وان مما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أن الله تعالى يعد موسى بمثل ما وعد به ابراهيم ومن بعده، وهو امتلاك الأرض المقدسة ٠ وذلك حيث يقول الرب ما ترجمته :

« انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر ، وسمعت صراخهم وأنينهم من مسخريهم ٠ انى قد علمت آلامهم ، **فنزلت** لأنقذهم من أيدى المصريين واذهب بهم من تلك الأرض الى أرض جيدة واسعة ، الى أرض تفيض لبنا وعسلا ، الى مكان الكنعانيين والحيثيين، والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسين» (خروج ٣ : ٧ ـ ٨) ٠

ويعنينا من هذا النص :

١ ـ ما ذكر فيه من أن الرب يجعل بنى اسرائيل « شعبه » ٠

٢ ـ ان الرب تعالى قد نزل لانقاذ شعبه من أيدى المصريين ٠ وهذا كلام ان دل على شىء فانما يدل على تحيز كاتب سفر الخروج لقومه ٠

٣ ـ أن الأرض الموعودة قد برزت معالمها ببيان سكانها ، وبأنها ارض جيدة واسعة تفيض لبنا وعسلا ٠

٤ ـ أن هذا النص لا يتضمن ما يدل على أن ملكية الارض ستكون ملكية أبدية ٠

وبذكرنا هذا الوعد بالوعود الكثيرة التى ذكرناها فيما مضى ، وهى التى ذكرت التوراة أنها صدرت من الله تعالى لابراهيم ونسله بامتلاك الارض المقدسة ٠ وقد رأينا أنها وعود متفاوتة فى الغموض والوضوح، ومختلفة فى المعنى والمبنى ، وأنها لم تتحقق لا فى حياة ابراهيم ، ولا فى حياة أحد من أبنائه أو أحفاده وانما تحققت كما نرى فى عهد داود وسليمان عليهما السلام .

وليس فى القرآن الكريم ما يشير الى هذه الملكية اشارة صريحة الا قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام « يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » المائدة : ٢١ ٠

وليس فى هذا النص الكريم اشارة صريحة الى تأبيد ملكية تلك الارض ، ولا الى قصرها على من يخاطبهم موسى من بنى اسرائيل ، فمن الجائز أن نفهم من هذه الآية الكريمة : ادخلوا الارض المقدسة

التى كتب الله لكم ولغيركم فترة من الزمن ، اذ لو كان سبحانه يريد أن يجعل امتلاك تلك الأرض امتلاكا أبديا للمخاطبين وحدهم لقال : ادخلوا الأرض المقدسة التى لكم كتب الله الى الأبد - أو نحو ذلك . هذا الى أننا نقرأ فى آخر الآية الكريمة قوله تعالى : « ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » ، وهذا من شأنه أن يشعر بأن امتلاكهم الأرض المقدسة مشروط بإقدامهم وعدم ارتدادهم على أعقابهم مولين الأدبار . ويدل سياق النظم الكريم على أنهم لم يتقدموا بل قالوا : « ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » المائدة : ٢٢ . واذا قرأنا قوله تعالى : « قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض » بالوقف على قوله « عليهم » كان لنا أن نفهم أن دخول المخاطبين الأرض المقدسة قد حرم عليهم ، وأن بقاءهم تائهين فى الأرض أربعين سنة قد فرض عليهم ، وهذه مدة كافية لانقراضهم أو انقراض عدد عظيم منهم على الأقل ، ثم نشأة جيل آخر غيرهم يطيعون أوامر الله ولا يكونون من « القوم الفاسقين »

وفي القرآن الكريم آيات أخرى تدل دلالة قطعية على أن وعد الله لبنى اسرائيل ليس وعدا من جانب واحد يوجب عليه سبحانه أن يفرق عليهم النعم ولا يطالبهم بشىء ، وانما هو وعد مشروط بأن يطيعوا الله ورسوله . فمن هذه الآيات قوله تعالى : « ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا . وقال الله انى معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل » المائدة : ١٣

وقوله : «واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون» البقرة : ٨٣ .

والتوراة العبرية التى بين أيدينا تذكر هى أيضا فى عدة مواضع أن ملكية تلك الأرض المقدسة مشروطة بطاعة الله ، اذ أنه ليس من المقبول عدلا ولا ذوقا أن يكون غير ذلك بحيث يصيب أحد الطرفين كل خير ولا يطالب بعمل شىء .. تقول التوراة ما ترجمته : « فاحفظوا كل الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم لكى تقووا وتدخلوا الأرض التى أنتم عابرون اليها وتمتلكوها » (التثنية ١١ - ٨) .

وتقول : « فاحذروا أن تغوى أفئدتكم فتزيغوا عن الحق وتعبدوا آلهة أخرى وتسجدوا لها فيشتد غضب الله عليكم ، ويغلق السماء فلا يكون مطر ولا تعطى الأرض غلتها فتبيدون سريعا عن الأرض الجيدة التى يعطيكم الرب » التثنية ١١ : ١٦ - ١٧ .

٢٣ - الخروج

لقد أرسل الله موسى ومعه هارون الى فرعون وملئه وأيدهما بالآيات البينات والمعجزات الباهرات، وكانت تسعا ذكرت اثنتان منها فى قوله تعالى : « فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين » الشعراء : ٣٣ . وذكرت اثنتان أخريان فى قوله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » الاعراف : ١٣٠ .

وذكرت الخمس الباقية فى قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات » الاعراف : ١٣٣ .

كان موسى حينئذ ابن ثمانين سنة ، وكان هارون ابن ثلاث وثمانين سنة (خروج ٧ - ٧) .

وقيل ان الجدل بينهما وبين فرعون قد بلغ أشده فى السنة السابعة أو السادسة من حكم منفتاح ، كما قيل ان الآيات والبلايا قد توالى نزولها بفرعون وقومه نحو ستة أشهر : بين أكتوبر وابريل من تلك السنة ، كما يقول روبنسون .

لقد آمن السحرة باله موسى ، أما فرعون فقد تكبر وتجبر وطغى وبغى وقال أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى .

اذ أنه لما غمرته الآيات المتواليات اضطر الى الرضوخ فأذن لموسى وبنى اسرائيل أن يخرجوا من مصر (خروج ١٢ : ٣١ - ٣٢) .

فكانت حادثة الخروج التى تعد حدا فاصلا بين مرحلتين حاسمتين من مراحل حياة بنى اسرائيل الطويلة الزاخرة بالمآسى والمخازى والسخريات .. هاتان المرحلتان هما مرحلة حياتهم فى مصر سادة أعزاء ، ثم عبيدا أذلاء زهاء خمس وعشرين ومئتى سنة على اختلاف فى ذلك ، ومرحلة اقامتهم نحو أربعين سنة فى شبه جزيرة طور سيناء وما حولها متغطرسين متكبرين ، عصاة طغاة ، كأنهم أرادوا أن يستعيضوا عما لحقهم من الذل حيث كانوا يؤمرون فيطيعون بأن يكونوا سادة أعزاء يأمرون فيطاعون .

لقد وافق فرعون على مضض أن يخرج بنو اسرائيل من مصر ، فما ان علموا بذلك حتى هرعوا الى ساحل البحر الأحمر وكانوا اذ ذاك نحو ست مئة ألف نسمة من رجال ونساء وخدم وعبيد وكان

خروجهم سنة ١٢١٧ ق.م تقريبا اى فى السنة الثامنة لحكم منفتاح ، وقيل ان ذلك كان سنة ١٢٢٠ ق.م اى فى السنة الخامسة لحكم ذلك الفرعون نفسه ٠

وبهذه المناسبة نقرر أن التواريخ التى نذكرها للحوادث التى حدثت فى تلك العصور الغابرة ليست الا تواريخ تقريبية قصد بها تقريب تسلسل الحوادث الى الأذهان ٠

يذكر المؤرخ المشهور روبنسون (فى كتابه تاريخ مصر ـ ٢٦٢ ـ ٢٦٥) ان تجمع بنى اسرائيل قبل عبورهم البحر الأحمر كان على الساحل الغربى لذلك البحر فى جزء من الأرض بين البحيرة المرة والسويس ٠٠ ويرجح أن البحر الاحمر كان اذ ذاك يمتد الى بحيرة التمساح ، ويقرر هذا المؤرخ أن حادثا طبيعيا غير عادى قد حدث بالمصادفة فى ذلك الوقت بالذات، وهو جذر غير عادى ترتب عليه انحسار الماء عن البحر فى موضع معين ظهرت فيه اليابسة ، فكان ذلك سببا فى سهولة عبور بنى اسرائيل بقضهم وقضيضهم من ساحل البحر الغربى الى ساحله الشرقى ٠

ويقول المؤرخ نفسه ـ استنادا الى ما ورد فى التوراة ـ ان ريحا شرقية عاتية قد هبت فساعدت الجزر على شدة انحسار الماء ٠

ولما علم فرعون وقومه أن بنى اسرائيل قد خرجوا من موطنهم فى أرض جاسان ندم على ما فعل ، وأمر جنوده أن يتعقبوا أولئك الهاربين ففعلوا ، ولكنهم ما ان دخلوا اليابسة التى كان الماء قد انحسر عنها حتى انتهى الجزر وجاء المد فأغرقهم الماء ومزقهم كل ممزق (خروج ١٤ ـ ٣٠) ٠

ويؤخذ من كلام هذا المؤرخ أنه لم تكن فى الأمر معجزة ، وانما كان أمرا طبيعيا ، وان يكن غير عادى، ولكن التوراة تقرر ان انشقاق البحر كان معجزة تمت بأن ضرب موسى البحر بيده فانفلق الماء ٠٠ وهذه ترجمة لنص التوراة فى ذلك الموضوع ٠ ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء فدخل بنو اسرائيل فى وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم ٠ (خروج ٢١ ـ ٢٢)

ويحدثنا القرآن الكريم عن هذه الحادثة بأسلوب آخر فيقول فى احدى السور : « فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين » الشعراء : ٦٣ ـ ٦٦ ٠

ويقول فى سورة أخرى : « ولقد أوحينا الى موسى ان اسر بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ، فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » طه : ٧٧ ـ ٧٨ ٠

ولنا أن نقول لذلك المؤرخ ومن نحا نحوه ان الله تعالى لما أراد وقوع المعجزة هيأ لها الأسباب ، فحدثت الحادثة ، وكانت تهيئة جميع أسبابها كاملة عند ضرب البحر بالعصا ٠

وبنو اسرائيل يعتقدون أن هذه الحادثة العظيمة قد حدثت فى النصف الثانى من شهر نيسان وهو الشهر الأول من السنة العبرية ٠ وهم يحتفلون بذكرى هذه الحادثة ثمانية أيام تمتد من اليوم الخامس عشر من ذلك الشهر الى الثانى والعشرين منه ٠

ويسمون هذا الاحتفال חַג הַפֶּסַח اى عيد التخطى ، وهو الذى يسمى عندنا عيد الفصح ، وسمى عيد التخطى لأنه لما نزلت بالمصريين الكارثة الأخيرة وهى موت كل مولود بكر تلده أية مصرية عقب ولادته مباشرة عم البلاء حتى انه قلما خلا بيت مصرى من موت طفل وليد ، وكانت الكارثة مقصورة على المصريات أما العبرانيات فقد تخطتهم ولم تصبهم بسوء (خروج ١١ : ٤ـ٧) ٠

وربما تكون هذه الكارثة هى الرجز المذكور فى قوله تعالى « ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل » الاعراف ١٣٤ ٠

٢٤ ـ بنو اسرائيل يركبهم الغرور فيتمردون :

لقد عبر موسى وبنو اسرائيل البحر الاحمر من ساحله الغربى ووصلوا الى ساحله الشرقى آمنين مطمئنين لم يمسسهم سوء ؛ أما جند فرعون فقد لحقهم الغرق فى حادثة مروعة تفيض التوراة فى بيان تفصيلاتها « خروج ١٤ ـ ٣٠ » ويلخصها القرآن الكريم بأسلوبه الحكيم فى قوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم» طه : ٧٨ ٠

هكذا ينتصر الحق على الباطل ؛ وينتقم الله للمظلوم من الظالم ؛ وقد توالت نعم الله تعالى على بنى اسرائيل فى أثناء اقامتهم بشبه جزيرة طور سيناء ، وانتهى الامر بأعظم نعمة أنعمها الله عليهم، تلك هى ان مكن لهم من فلسطين ، وجعلهم ملوكا وسادة على النحو الذى سنشرحه فيما بعد .

وقد توهم هؤلاء المنتصرون أن انتصار الله للحق والعدل كان انتصارا لهم هم أنفسهم بوصفهم شعبا معينا ، فركبهم الغرور ، واعتقدوا أنهم شعب الله المختار . وغلوا فى غطرستهم وكبريائهم فسلكوا

مسلك العناد والمشاكسة ، ووصل بهم عنادهم الى درجة العصيان بل الكفر والكفران .

وقد أخذت آثار تلك النزعة الضالة الفاسدة ، نزعة التمرد والعصيان تبدو واضحة بينهم منذ ان خرجوا من مصر سالمين تاركين من ورائهم جند فرعون هالكين .

ومظاهر عصيانهم وجحودهم فى شبه جزيرة طور سينا ، متعددة ذكرتها التوراة بأسلوبها المطول وذكرها القرآن الكريم فى عدة مواضع بأسلوبه الموجز المعجز .

اقرا ان شئت قوله تعالى :يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم » البقرة ٤٠ الى قوله تعالى « والله بصير بما يعملون » البقرة : ٩٦ ، تجد عددا كبيرا من مظاهر عصيان بنى اسرائيل وكفرهم بالله وبالنعم التى اسبغها عليهم . وقد حدث معظم ذلك فى اثناء الاربعين سنة التى قضوها فى شبه جزيرة طور سيناء وما حولها .

ومن ابرز مظاهر التمرد والعصيان ما فعله هؤلاء الجاحدون حين طلب اليهم موسى عليه السلام أن يدخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لهم .

تقول التوراة فى ذلك ماخلاصته :

بعد ان وصل بنو اسرائيل الى برية فاران أمر الله موسى ان يرسل رجالا يرتادون أرض الميعاد، ويتجسون احوالها واحوال سكانها ففعل . ولما عاد هؤلاء الرجال قالوا لموسى فيما قالوا — الا واحدا منهم — اننا لانستطيع ان نذهب الى الشعب صاحب تلك الارض لأنهم اشد منا قوة . ثم اشاعوا الحط من قدر الارض نفسها فى بنى اسرائيل ، وقالوا انها ارض تاكل سكانها ، وجميع من رايناهم فيها اناس طوال القامة . وقد راينا هنالك الجبابرة فكنا فى اعينهم كالجراد ، وكذلك كنا فى اعيننا . (الفصل الثالث عشر من سفر العدد)

ورفعت كل الجماعة صوتها وصرخت ، وبكى الشعب تلك الليلة ، وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بنى اسرائيل ، وقال لهما كل الجماعة :ليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا متنا فى هذا القفر ولماذا اتى بنا الرب الى هذه الارض لنسقط بالسيف ، وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة . أليس من الخير لنا أن نرجع الى مصر ؟ فقال بعضهم لبعض : نقيم رئيسا ونرجع الى مصر .»

فسقط موسى وهارون على وجهيهما أمام جميع معشر بنى اسرائيل . ويشوع بن نون وكالب بن يفنة من الذين تجسسوا الارض مزقا ثيابهما وكلما حل جماعة بنى اسرائيل قائلين : الارض التى مررنا فيها لنتجسسها أرض جيدة جدا جدا ، ان سر بنا الرب يدخلنا هذه الأرض ، ويعطينا اياه أرضا تفيض لبنا وعسلا » . (العدد : ١٤ : ١ — ٨)

وما أجمل قول الله تعالى فى هذا الموضوع :

«واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء ، وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت احدا من العالمين . ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون . قال رب انى لااملك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم ، أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تاس على القوم الفاسقين » المائدة : ٢٠ — ٢٦ .

لقد كان هذا التمرد ونحوه من أسباب ما هو مسطر فى الكتب السماوية من غضب الله على بنى اسرائيل ، ذلك الشعب الذى ان استثنينا منه بعض أفراد صالحين صح لنا أن نصفه بانه شعب أليم فاجر ، عنيد غادر ، ماكر متكبر ، جاحد متجبر .

ذلك هو الشعب الذى كفر بانعم الله ، وعبد العجل من دون الله ، وعصى رسول الله الذى أنقذه من ربقة الاستعباد ، وقاسى الأمرين فى تخليصه من ذل الاستبداد ، ذلك هو الشعب الذى طغى وبغى وظن أن له الكلمة العليا فأخذ يامر وينهى ، ولحقه البطر فلم يرض بنعمة الحرية ، واخذ يستصغر نعم الله ويحتقرها ، ويتمنى أن لو كان قد بقى بمصر يستمتع بخيراتها متغاضيا عن ويلاتها ومذلاتها .

وقد بلغ بهذا الشعب الخائن الغادر عتوه وكبرياؤه أن ادعى أنه شعب الله المختار ، وانه فى ذلك الزعم لمضل وضال ، فان الله تعالى لم يصنع له ماصنع من خير الا احقاقا للحق ، فلما غيروا مابانفسهم ، وخانوا الامانة ونقضوا المواثيق عاقبهم الله ، وحرم عليهم أن يدخلوا الارض المقدسة ، ثم عاد فرضى عنهم تكريما لمن تاب منهم وأناب ، فهيأ لهم سبيل النجاح فى الاستيلاء على الارض المقدسة

ولكن ذلك لم يكن الا بعد عناء ومشقات تحملوها بعد وفاة موسى عليه السلام !

وسنوضح ذلك فى مقال تال ان شاء الله .

العرب في إفريقيا

... من الجنوب العربي

للدكتور: عبد العزيز كامل

بيئات ثلاث .. ومنهج :

مع ان الأجزاء الجنوبية والمطلة على الخليج العربى من الجزيرة العربية كانت تدعو سكانها الى الاتصال بالمحيط الهندى ، الا أن هناك فروقا محلية نستطيع بها أن نميز بين ثلاث بيئات :

١ ـ ارض الخليج العربى وبخاصة عمان .

٢ ـ الجنوب العربى .

٣ ـ اليمن

وابادر فاقول ان هذه الفروق المحلية بين البيئات لم تجعل كلا منها « مختلفة » عن الأخرى ، وانما جعلتها « متميزة » عنها وان اشتركت جميعا فى خصائص واحدة . ذلك لان التشابه المطلق بين البيئات امر لا وجود له ، وكذلك التباين المطلق أمر لا وجود له ، حتى ان نفرا من الجغرافيين يعتبرون الاختلاف درجة من درجات التشابه .

ويقودنا هذا الى مشكلة منهجية أرجو الا يكون فى عرضها استطراد يبعد بنا عن موضوع البحث . ذلك لان هذه الظاهرة : ظاهرة التباين المحلى الذى لا يمكن تجنبه ، يمكن استغلالها سياسيا . ويمكن ـ فى هذا الضوء ـ أن تكون مقياسا نقيس به كثيرا من الاتجاهات التى يموج بها عالمنا العربى .. واذا ارتفعنا بالمشكلة الى المستوى العربى الكبير وجدنا جوانب كثيرة من التشابه فى الكيان العربى ، كما وجدنا أيضا جوانب من التباين او التناقض . وأية دعوة عربية صادقة تستهدف خير العروبة ، تعمل ـ أول ما تعمل ـ على تدعيم جوانب التشابه وابرازها وايجاد هيئة حضارية جديدة يزداد فيها التجانس وتستفيد من جوانب التباين فى ايجاد تكامل بين اجزاء الوطن العربى وهو ما يسمى «بالوحدة فى التنوع». ولم تعد الارض وحدها هى المعيار الذى نقيس به التكامل بعد ان اصبحت العوامل البشرية والتخطيط للمستقبل من اهم العوامل ـ ان لم تكن أهمها جميعها ـ فى تحديد ابعاد الروابط بين أجزاء من العالم لم يكن بينها من قبل ترابط وثيق .. فكيف بارض عاشت تاريخا وحاضرا وتعمل لمستقبل مشترك !!

تقابل هذا اتجاهات اخرى ترمى الى تدعيم جوانب التباين فى الوطن العربى وتشجيع الاقليميات الضيقة ، ولن تعدم فى هذا الاتجاه أن تجد حقائق جزئية وأمثلة تاريخية تعزز بها وجهة نظرها، والامثلة على ذلك حية ، والنزعات الانطوائية او الاقليمية الضيقة من اهم القوى التى يحركها الاستعمار ليحارب بها القومية العربية الكبيرة.

من أجل ذلك كان علينا أن نميز فى مجال الدراسة بين «معرفة» الظاهرة وبين «توجيه» الظاهرة . وبعبارة أخرى .. علينا أن نحدد لانفسنا فلسفة للبحث وهدفا مرتبطا بالفلسفة العامة للمجتمع ونابعا منها ، بحيث تسير الدراسة العلمية نحو غاية يؤمن بها المجتمع ، نابعة من مقوماته ، متجهة الى تحقيق آماله على هدى وبصيرة .

نعود بعد هذا الى الجنوب العربى لنعرض بيئاته فى هذا الضوء ..

عمان :

لقد سبق القول أن اقليم عمان يمتاز من الارض حوله .. ومن ورائه أرض قاحلة فى صحراء الدهناء تجعل الروابط بينه وبين قلب الجزيرة العربية أضعف من الروابط بينه وبين البحر .ومن هنا اتجه الاقليم الى خليج عمان والى المحيط الهندى ينشد فيهما الرزق والحياة ، وتشابكت من قديم روابطه مع فارس والهند وشرق افريقية .

.. بل ان هذه العزلة النسبية اثرت على الاتجاهات الدينية فيه ، ففى الجبل يسود المذهب الاباضى ، بينما تسود مذاهب السنة فى الاجزاء السهلية .

وتتكون عمان من سلسلة صخرية ذات نواة قديمة تغطيها رواسب أحدث منها من الحجر الجيرى . وقد أدى هذا التكوين فى شبه جزيرة مصندم الى وجود عدد غير قليل من الاودية والتلاع ، كما أدى هبوط الشاطىء الى تكوين خلجان عميقة متوغلة فى اليابس من خليج عمان (من نوع الفيورد) ولها حوائط مشرفة عالية ومداخل ضيقة تستطيع التحكم فى هذه الخلجان المتوغلة وتحميها من أى مغير ، وتوفر فى نفس الوقت اماكن آمنة للسفن . ويصل طول بعض هذه الخلجان الى أكثر من عشرة كيلو مترات ، وارتفاع الجروف المشرفة عليها قد يصل الى نحو ألف متر . فالظروف الطبيعة اذن تساعد على تكوين الموانى، وعلى حمايتها ، وعلى سهولة الدفاع عنها . ولكن هذه الخلجان تنتهى دون ان ترتبط بمجار مائية تصلها بقلب الجزيرة العربية،وفى هذا تختلف هذه الخلجان الصغيرة عن النهاية الرئيسية للخليج العربى حيث يصب نهرا دجلة والفرات ، ومن وراء منطقة المصب ارض غنية قامت عليها حضارات قديمة ترجع الى أقدم العصور ،التى استطاع الانسان فيها أن يسجل حضارته .. ولازال العراق يقوم بدوره الحضارى الايجابى منذ آلاف السنين ، ولازال قوة لهاوزنها الكبير فى الكيان العربى .

ميزة موانى راس الخليج العربى اذن انها تستند الى أرض زراعية وترتبط بها ، وتخدم أرضا هى جزء منها لايحول بينها حائل طبيعى أو بشرى . أما موانى عمان فليس لها « العمق » الارضى المتوغل فى الجزيرة العربية وان كان لها «الامتداد» البحرى المتوغل فى المحيط الهندى . واذا كانت ظروف راس الخليج العربى ــ بما لها من ظهير قارى فى ارض العراق ــ تمكنها من الملاحة البعيدة والوساطة التجارية القوية ، كما حدث فى أكثر من عصر من عصور تاريخها ، فان ظروف منطقة عمان كانت تدعوها الى شدة التمسك بروابطها البحرية دون ان تستطيع الانطواء على نفسها والا كان فى هذا الانطواء فقدان لجانب كبير من مقومات حياتها . فالارتباط العضوى اذن بين منطقة عمان والمحيط الهندى ارتباط حيوى دفع أبناء المنطقة من قديم الى شواطىء المحيط وقادهم الى شرق افريقية حيث عاشوا واستقروا من قديم فى روابط من السلام والود لم تضطرب الا بعد مجىء الاستعمار البرتغالى كما سنرى فيما بعد .

والجو فى هذه الخلجان الضيقة فى منطقة عمان محتمل فى فصل الشتاء حيث يتوفر صيد البحر، بينما هو صيفا يمتاز بشدة الحرارة والرطوبة حتى يصبح من أقسى أنواع المناخ تأثيرا على النشاط البشرى ، ولذا يهاجر ابناء المنطقة الى راس الخليج العربى صيفا حيث يعملون فى موسم جمع البلح .

وهناك تباين واضح بين الاجزاء الساحلية والجبل الداخلى الذى يبلغ متوسط ارتفاعه نحو ثلاثة الاف متر فوق سطح البحر ، ويمتاز الجبل باوديته الكثيرة العميقة ذات الجوانب الشديدة الانحدار وتتجه معظمها من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى . والمطر هناك أقل من اليمن ، وان كانت الارصاد الدقيقة المنتظمة غير متوفرة . ولاشك فى أن معدلات المطر تزيد عن ٢٥٠ مليمترا . وتتوفر فى الاقليم عيون ماء يستطيع السكان الاستفادة منها فى السقيا والرى والتخزين . وتقوم عليها الحياة فى واحات محدودة .. ويغطى الجبل عشب أخضر وفى اجزاء قليلة يزداد الغنى النباتى فيصبح مروجا ترتفع اشجارها وتتكاثف .. وفى الاجزاء الغنية حيث تتوفر الحرارة المناسبة ومورد الماء ..يزرع اهل الارض قطعا زراعية يحصلون منها على غلاتهم الغذائية من حبوب وفواكه الى جانب مايزرعون من اشجار البن . ويقل هذا الغنى النباتى اذا اتجهنا غربا حتى ينتهى بنا الى الصحراء .. هذا بينما يظل الغنى النسبى وان قل ــ اذا ماانحدرنا شرقا وشمالا نحو ساحل الخليج .

ومن الناحية العملية قامت معظم الصلات

منطقة عمان مع بقية الجزيرة العربية على البحر ، واستخدام «الداوات» وهي الحرفة الرئيسية لسكان الاقليم . والتجارة المحلية — مع عمان نفسها — محدودة المدى . والصادر منها قدر من البلح والسمك المجفف ، والوارد اليها الحبوب وبخاصة الارز وأخشاب الساج لبناء السفن وبعض السلع المعدنية والأسلحة والذخائر .

وكطبيعة أقاليم الالتقاء الساحلية ، من المنتظر أن نجد تعددا في العناصر التي وفدت الى الاقليم وخالطت أهله نتيجة للروابط التجارية .. هنا نجد دماء افريقية وهندية وفارسية ، وهي ظاهرة نراها في شرق افريقيةكما نراها على سواحل الهند وقد تعايشت هذه العناصر في ود وسلام تجمع بينها شواطىء المحيط وتربط بينها خطوط مواصلات لها عمق تاريخي لم نستطع حتى الآن تحديده .

ولقد شاهد الاقليم في عصور ازدهاره نشاطا تجاريا امتد الى الصين شرقا والى شرق افريقية غربا ، وكانت « صحار ، قصبة عمان ومركز هذا النشاط . ولنذكر فيها ماقاله ياقوت في معجمه عن البشاري : « صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين (وهذا الاسم كان يطلق على الخليج العربي لنشاط التجارة مع الصين) بلد أجل منه ، عامر آهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار فواكه . أجل من زبيد وصنعاء (في اليمن) وأسواق عجيبة وبلدة طريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ، والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق . ولهم آبار عذبة وقناة حلوة . وهم في سعة من كل شيء ، وهو دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن » (٣ : ٣٩٣ — ٣٩٤ ط بيروت) أما عن مسقط فلم يذكر عنها ياقوت الا هذه الجملة « مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر الأحمر» (٥ : ١٢٧ ط بيروت) وصحار في الوقت الحاضر ميناء صغيرة تقع الى شمال مسقط بنحو ٢٢٥ كيلومترا وعدد سكانها نحو ستة آلاف وهو يزيد قليلا عن سكان مسقط .

ومع التدهور الاقتصادي الذي أصاب عمان بعد أن أصبح المحيط الهندي مجالا من مجالات الصراع الاستعماري فلازالت للموقع قيمته الاستراتيجية بتحكمه في المدخل الجنوبي لخليج عمان . وهو من هذه الناحية يقابل عدن على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية ، وثمة وجه شبه آخر ، ظهر في العصور الحديثة ، هو ضعف الصلة بقلب الجزيرة العربية عندما سيطر الاستعمار على هذه الاجزاء . الا أنه مع كل هذه التطورات ظلت الروابط البحرية بالمحيط الهندي هي العصب الحي في حياة عمان وبخاصة من عصور تاريخها ، فان ظروف منطقة عمان كانت حيث الارتباط بشرق افريقية .

الجنوب العربي :

انا نقصد بالجنوب العربي سواحل الجزيرة العربية المطلة على البحر العربي وأهم مايميز هذا الشاطىء هبوط تدريجي في معدلات الارتفاع اذا ما تركنا اليمن واتجهنا شرقا حتى يصبح نحو ألف متر في منطقة سيحوت ثم يقل الى نحو مائتي متر في خليج (غبة) صوقرة . ومن أهم معالم الاقليم وادي حضرموت الذي يجري موازيا للشاطىء — على بعد نحو مائتي كيلومتر — لمسافة ٣٠٠ كيلومتر بحيث ينحرف نحو الجنوب الشرقي انحرافا مفاجئا قاطعا السلسلة الجبلية الساحلية ليصل الى المحيط الهندي قرب سيحوت . ويدل نظام جريان الوادي على انه مسبوق بنظام نهري كان أوفر ماء . وظاهرة الغنى المناخي السابق لها أكثر من دليل . حدث هذا في العصور التاريخية وارتبط به غنى الاقليم وازدهاره،وتؤيد هذا أدلة أثرية وطبيعية وتاريخية. ولعل آخر هذه الدورات كانت قبيل ظهور الاسلام وكان لها انعكاسها على الحياة في الجزيرة العربية داخليا وارتباطها بما حولها كما تذهب الى ذلك آراء باحثين أرجو أن أعرض لها فيما بعد .

وتترك السلسلة الجبلية بينها وبين الشاطىء سهلا ساحليا ضيقا في الغرب يقل اتساعه عن عشرين كيلومترا ومن ورائه هضبة متوسط ارتفاعها نحو ألف متر مزقتها الاودية التي أصبحت جافة في الوقت الحاضر . والى شمال الهضبة يجري وادي حضرموت والى شماله هضبة أخرى أقل ارتفاعا من الهضبة الاولى يتراوح ارتفاعها بين ٣٠٠ و ٦٠٠ متر وتستمر هذه الهضبة في قلب الجزيرة العربية.

والمطر هنا أقل من اليمن — كما سنرى — ويسقط على بعض الاجزاء المرتفعة من حضرموت وظفار ما بين ٧٠٠ و ١٠٠٠ مليمترا في العام . ويسقط المطر صيفا . وان كان معظم أجزاءالجنوب العربي يسقط عليه معدل مطر يقل عن ٢٠٠ مليمتر . ومن الطبيعي أن تكون الأجزاء الغربية — الأقرب الى اليمن — أوفر مطرا لارتفاعها وتزداد الحرارة كلما اتجهنا شرقا مع الانخفاض وقلة المطر . وتكثر بذلك مظاهر الجفاف والقحولة وتصبح الزراعة مقتصرة على أجزاء محدودة كالمدرجات النهرية والقيعان المستوية حيث يبقى

جانب من المطر فى التربة الطينية أو بجوار التلال .

والغلات الزراعية فى هذا الجزء من الجزيرة العربية تختلف اختلافا بينا عن بقية الجزيرة العربية بله الوطن العربى بعامة فنظرا لوجود الجبال التى توازى الساحل ومن ورائهاالوادى ثم هضبة داخلية .. اتجه الاقليم بدوره الى البحر كما اتجه اقليم عمان واليمن مع فروق محلية . وفى الحياة هنا أوجه شبه قوية مع شرق افريقية والهند .. فمع الغلات التقليدية كالنخيل والشعير والذرة تنمو أشجار المانجو والباوباو والموز والجوافة ... مع بعض القطن والطباق والخروع .. والواحات التى تنمو فيها هذه الغلات تكثر فى الغرب عنها فى الشرق ومن أهمها لحج وشمال شرق المكلا . ومن الممكن القيام بمشروعات تنمية فى الاقليم اعتمادا على المياه الجوفية فى وادى حضرموت حيث تجرى فى بعضه المياه جزءا من السنة . فالارض هناك تنمو فيها غلات «افريقية» وغلات «آسيوية» كما يحيا فى الارض قوم تختلط فى عروقهم هذه الدماء .

وعرف هذا الاقليم من قديم بانه أرض البخور أو الطيوب . ولازال يشتهر حتى الآن بنوعين منها: المر واللبان . وقد ورد ذكرها فى قصص الانبياء . ففى مولد عيسى عليه السلام جاء اليه المجوس وفتحوا كنوزهم ، وقدموا له هدايا ذهبا ولبانا ومرا (متى : ٢ : ١١) وتنمو اشجار كل من هذين الطيبين على المنحدرات الرطبة التى يزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ متر وتجمع فى اواخر الربيع واوائل الصيف قبل سقوط الامطار . ولازال هذا العمل يقوم به – الى حد بعيد – مهاجرون من الصومال وغيرهم من الافريقيين .

وكان لهذه التجارة من قبل شان كبير . وكثرت الروايات عن «طريق البخور» الذى يبدأ من الجنوب العربى ويتابع سيره شمالا بالقوافل الى مكة والمدينة حتى يصل أرض الشام ومصر . وفى الوقت الحاضر انخفض انتاج الاقليم من المر واللبان ومعظمه يأتى من الاجزاء المرتفعة من ظفار .

والحديث عن طريق البخور أكثر اتصالا باليمن وموعدنا عنه مقال مقبل . والذى اود ان اؤكده فى ختام هذا المقال أن الجنوب العربى استقبل عناصر افريقية عاشت فيه ولاتزال تعيش كما أوفد عناصر عربية الى بقية شواطىء المحيط الهندى ، وهذا التبادل والتفاعل السكانى كان يسير سيرا طبيعيا حتى دخلت المؤثرات الاوربية مياه المحيط الهندى .

« د . عبد العزيز كامل

أمسية

للشاعر : عبد القادر حميدة

لست انسى يا حبيبى وقفة عند المساء
نحضن الليل برفق .. ونغنى للضياء
ونناجى القمر الباكى بدمعات وضاء :
أيها الضوء الذى قد ضمنا
بين آه .. وعناق .. ومنى
وحفيف الهمس يسرى بيننا
لا تبح بالسر ان جئنا هنا
لست انسى حين رفت قبلة من شفتيك
والهوى المشبوب يحيا حائرا فى مقلتيك
وانا انشد حبى خافقا فى اذنيك
فتقولين وقد طافت بنا
نسمات الليل تسرى حولنا
هات انغامك .. هيا غننا
ردد اللحن الذى اسكرنا
لست انسى حين اغفينا على شط الغدير
وتوسدنا بساط العشب والنبت النضير
وتعانق حلمانا على عزف الخرير
ثم مرت نسمة توقظنا
فصحا الحلم الذى طوقنا
وانمحى الطيف الذى عانقنا
تعس الحظ الذى ارقنا
لست انسى يا منى روحى واحلامى وفكرى
والتى تخفق فى صدرى اذا ما النور يسرى
ليلة .. فيها انتشينا دون خمر
فتوهمنا حياة .. ودنا
تجمع الشمل .. وتذكى حبنا
بين لحن .. وغناء .. وسنا
وابتسام الورد .. والدنيا لنا
انا لا انسى . ولن انسى رواجينا معا
ونجوم الليل تهمس من ضياها ادمعا
وانبثاق الفجر .. بكينا وداعا موجعا
وعناقا .. ذاب فى ادمعنا
وسؤالا .. حار فى اعيننا :
أترى نبقى على ليلتنا ؟
وغدا .. نمضى الى وقفتنا ؟

شعراء المنصورة

بقلم: صالح جودت

كانوا اربعة ، يعيشون على شـاطىء مدينـة المنصورة الجميلة فى حقبة واحدة من الزمان ، ما بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣١ .

وكان بين هؤلاء الاربعة ، اثنان فى ميعة الشباب، هما ابراهيم ناجى ، الطبيب ، وعلى محمود طه ، المهندس .

أما الآخران ، فكانا يودعان الصبا ويسـتقبلان اليفـاعة ، وهمـا محمـد عبـد المعطى الهمشرى ، أو م.ع. الهمشرى كما كان يحب ان يسمى نفسـه ، وأنا ... الطالبان بمدرسة المنصورة الثانوية

التقى جمعهم على شاطىء المنصورة ، وعقد بينهم الشعر حلفا انيقا محببا

ولم يكن أحد منهم قد شق طريقه الى مسـتقبل ظاهر فى عالم الشعر بعد،فكان جل همهم أن يقرأوا ويكتبوا ، وان يحدث كل منهم اصحابه عما قرأ ، وان يتلو عليهم ما كتب ، أو على الاصح ما نظم .

كان وجه الحياة فى المنصـورة يومئذ ضـاحكا مشرقا : فمعهد الموسيقى بالمدينة مزدهر ، وحيـاة الليل على طول مقاهى الشـاطىء ممتدة ، زاخرة بالرقص والغناء ، واسباب العيش رخية سخية ، وأهل المدينة بطبيعتهم محبون للادب والفن ، فى رجالهم ظرف وذكاء ، وفى نسائهم رقة وشاعرية .

فى هذا الجو المهيأ ، عاش الصحاب الاربعـة ، ينتهون من عمل النهار ، ليلتقوا فى ندوة الليل ، وفى جعبة كل منهم شىء جديد من حصيلة قراءته ، أو من نتاج موهبته .

ولم تخل الفتهم هذه من شىء من الغيرة الطيبة المثمـرة ، التى دفعتهم الى سـباق فى القـراءة والتحصيل ، وكانت قراءاتهم فى الادبين العـربى والغربى على السواء .

واستطيع ان اجزم بانهم ، فى قراءاتهم هذه ، أنجزوا قديم الأدب العربى ، وتابعوا حديثه ، أما فى الادب الغربى ، فقد كان الادب الانجليزى بالذات أدناه اليهم ، لاحسانهم جميعا اللغة الانجليزية .

واذا كانت لم تفتهم قـراءة شـكسبير وملتون واضرابهما ، ان كان لهما اضراب فى تاريخ الادب الانجليزى ، فان اكثر من استهووهم من نجوم هذا الادب ، هم شلى وكيتس ووردسـورث وبـيرون وروبرت بروك ونظراؤهم من الرومانسيين العاطفيين

وكما شاء القدر ان يربط بين قلوب هؤلاء الاربعة فى تلك الحقبة على شاطىء المنصورة ، شاء كذلك ان يمد فى أجـل صـحبتهم ، فانتقلوا جميعـا الى القاهرة فى عام واحد ، هو عام ١٩٣١ ، حيث نقل ابراهيم ناجى الى وظيفـة بمـستشفى السـكك الحديدية ، وعلى محمـود طه الى وظيفـة بوزارة الاشغال .

اما الهمشرى وأنا ، فقد رحلنـا الى القـاهرة لنلتحق بالجامعة ، هو بكلية الآداب ، وأنا بكلية التجارة .

وهكذا اتيح لهؤلاء الاربعة ان يواصلوا صحبتهم، وان كانت شواغل الحياة قد اخذتهم فجعلت لقاءهم على فترات ، لا تعدو الواحدة منها ، مهما طالت ، سبعة أيام ، بعد ان كان لقاؤهم على شاطىء المنصورة كل ليلة .

وكان من نتائج تأثرهم بالبيئـة الواحـدة فى المنصورة ، وبالمصادر الواحدة فى القراءة ، وبالاحاديث المشتركة فى ندوات الليل على شاطىء المدينة الحسناء ان تقاربت خطوط شعرهم فى ذلك العهد ، الى حد ان الكثير من شعرهم قد اختلط على الناس فيما بعد ، فاصبحت القصيدة الواحدة تنسب الى أكثر من واحد منهم

وانى لاذكر ان الهمشرى ــ رحمه الله ــ جاءنى ذات مرة ، اذ نحن فى القاهرة ، يتلو على أبياتا أربعة

يذكرها من أيام المنصورة ، ويسالني : اهي لناجي أم لي أم له ·· فأكدت له أنها له ·

واني لأذكر أيضا ان اسرة ناجي حينما همت بجمع شعره بعد وفاته ، وجاءتني بما عندها من مخطوطات ، استطعت ان اتعرف بينها على أكثر من قصيدة ليست له ، هي بل لصاحبه المهندس ، أو للهمشري ، أولى أنا

ولولا انني عرفت هذه القصائد بكل ملابساتها عن كثب ، ما استطعت ولا استطاع غيري ان يتبين أن هذه القصائد ليست له ، من فرط تشابه المناخ الشعري الذي عاشه هؤلاء الاربعة أيام المنصورة ، تشابها قرب كلا منهم الى الآخرين في اللفظ والأسلوب والصورة ·

كان هذا في المنصورة ...

اما في القاهرة فقد اخذت خطوط شعرهم تتباين رويدا رويدا ، حتى اتضحت معالم كل منهم ، واصبح ناجي « شاعر الرقة العاطفية » كما سماه العقاد ، رحمه الله ، واصبح على محمود طه الشاعر التصويري ، واصبح الهمشري شاعر الريف المصري ... أما أنا ، فلست ادري ماذا اصبحت ، وان كنت احس انني مزجت الوطنية بالعاطفة .

في القاهرة ... اتصل الشعراء الاربعة بجماعة « ابوللو »وعلى رأسها امير الشعراء احمد شوقي ، سنة ١٩٣١ غير أن هذه الصلة لم تعمر طويلا ، ولا سيما بعد وفاة شوقي في سنة ١٩٣٢ ·

اولا ، لأن الجماعة ما لبثت ان انفضت في سنة ١٩٣٥

وقبل ذلك ، لان شيئا من الجفوة قد وقع بين نفر من هذه الجماعة من ناحية ، وبين على محمود طه والهمشري من ناحية أخرى

وانصرف الهمشري يغنى للريف ، ويحلق في أجواء الفكرة التعاونية ·

أما على محمود طه ، فقد اتصل ببعض الشخصيات السياسية في ذلك العهد ، وانتهى به الامر الى ان تلون بالحزبية · وكان هذا من سوء حظ الادب ، لأن الحزبية صرفته في بعض الأونة عن الشعر الخالص ، وجرفته الى الشعر السياسي ، عن غير ايمان بالحزبية ، وانما تأثرا بهذه الصداقات، وكلون من عرفان الجميل ·

ومهما يكن من أمر ، فاننا اذا صفينا شعره من هذا اللون من الشعر ، لبقى لنا بعد هذا رصيد عظيم من الشعر الخالص ، الذي يضعه في ذروة عالية من ذرا الشعر في عصره ·

واخذ القدر ، الذي جمع هؤلاء الاربعة على شاطىء المنصورة ، ثم جاء بهم الى القاهرة ، يفرق شملهم واحدا بعد الآخر ، فمات الهمشري سنة ١٩٣٨ ، ولحق به على محمود طه بعد ذلك بعشر سنوات ، وأدركه ناجي بعد هذا بأربع سنوات ·

وبقيت انا وحدي ...

بقيت لأذكرهم واذكر الناس بهم ، الى ان يأتي دوري في اللحاق بهم ، ولست ادري من ذا الذي يذكرني يومئذ ،ان كنت قد صنعت شيئا يستحق الذكر

وفي هذا السبيل ، سبيل الذكرى ، انجزت كتابي « ناجي : حياته وشعره » ·· الذي نشره مجلس الفنون والآداب ، كما شاركت في تصنيف ديوانه الذي نشرته وزارة الثقافة ، وجعلت له مقدمة وافية

ثم انجزت كتابي الآخر « الهمشري : حياته وشعره » ... وقد نشره مجلس الفنون والآداب ايضا ، كما جمعت شعره في ديوان تنشره الآن وزارة الثقافة

وبينما انا افكر في انجاز بقية الرسالة ، رسالة ذكرى اصحابي الثلاثة ، اذا بي اتلقى ، وانا بمكاني بلجنة الشعر من مجلس الفنون والآداب ، رسالة علمية قيمة ، وضعها الاستاذ السيد تقي الدين السيد عن حياة على محمود طه وشعره ، ونال بها درجة الماجستير في الآداب

واحسست انه حمل عني العبء الباقي ، جزاه الله كل خير ، وهكذا اصبحت فيانتظار دوري للحاق برفاق الصبا والشباب ، مستريح الخاطر الى ان أحدا من ثلاثتهم لن يغمره تيار التاريخ ·

وقد تفضل زملائي اعضاء لجنة الشعر بالمجلس ، فآثروني بفحص هذه الرسالة عن على محمود طه ، فقرأتها ، ونعمت بقراءتها ، وكتبت لها مقدمة قلت فيها ما قلته في هذا المقال عن شعراء المنصورة ، واوصيت المجلس بنشر الرسالة ، ففعل مشكورا

وعلى ذكر هذه الرسالة ، التى ظهرت منذ ايام تحمل اسم « على محمود طه : حياته وشعره » ..
احب ان أعرض على القارىء نماذج من شعر أصحابى الثلاثة ، من وحى المنصورة . هذه لناجى ... وعنوانها « المنصورة » .

بـاى معجـزة فى الحب نتفق ...
يا قلب هل يتلاقى الفجر والغسق
يا قلب ، انا لقينا اليـوم معجـزة
تكاد فى ظلمـات الليـل تاتلق
وافيتهـا ، وفلول النـور دامية
تطفـو فترسـب او تعـاو فتعتلق
لم ادر حين تبدت لى ، اذن شـفقى
ابصرته أم على المنصـورة الشـفق
يا من منحت الأمانى البيض معـذرة
انى بهـذى الأمانى البيض اختنق
اين الهـدوء المرجى فى جـوانبها
انى رجعت وليـلى كلـه ارق
اقبلت انشـد امنا فى هواك بهـا
فـلم انل ، وتـولى قلبى الفـرق

لا بالقـلوب ولا الارواح يا املى
انا بشىء وراء الروح نعتنـق
ويحى على كفك البيضاء اذ بسطت
عند السلام ، وويحى حين تنطبق
هل يسـمع النيل اذ سرنا بجانبه
والمـوج مجتمـع فيه ومفتـرق
صوتا تمـاوج فى روحـى ، فجاوبه
من جانب الموج صوت راح يصطفق
تظـل تنهب اذنى من اطـايبه
كـانها من خفـايا الغيب تسـترق
يا جنـة من جنـان الله اعبدهـا
لن تبعـدى ولدى السـحر والعبق

وهذه لعلى محمود طه ... من وحى المنصورة ايضا ... فى قصيدة عنوانها « مخدع مغنية » .

وابرز ظاهرة فى هذه القصيدة ، ان الحسـية التى اشتهر بها على محمـود طه بعد أن نزح الى القاهرة ، هى نفس الحسية التى ينكرها ويستنكرها ويلوذ بالفرار منها فى هذه الابيات ، قبل ان تشعل دمه لفحة القاهرة :

معبد للجمـال والسـحر والفتنة يغدى لقدسـه ويراح
دخلت بى اليه ذات مسـاء .. حيث لا ضجة ولا اشـباح
لم تكن قبل بالرفيقين .. لكن هى دنيا تتيح مالا يتـاح
وجلسنا .. يهفو السكون علينا .. ويرينا وجوهنا المصباح
هتفت بى : تراك من انت يا صاح ؟ فقلت المعذب الملتاح
شاعر الحب والجمال ... فقالت : ما عليه اذا احب جناح
واحتوى راسى الحزين ذراعاها ... ومرت على جبينى راح
ورات صـفرة الردى فى شفاه احرقتها الانفاس والاقداح
فمضت فى عتابها : كيف لم ندر بما برحت بك الاتراح ؟
ان اسانا اليك ، فاليوم يجزيك بما ذقته رضى وسـماح
ولك الليلة التى جمعتنا ، فاغتنمها حتى يلوح الصـباح
قلت : حسبى من الربيـع شـذاه . ولعينى زهره الفواح
نحن طير الخيال ، والحسن روض كلنا فيه بلبل صـداح
فنيت فى هواه منا قلوب .. واصـابت خلودها الأرواح

أما م.ع الهمشري ــ وقد كان يؤثر ان يكتب اسمه هكذا ... تأثرا بشاعره الاثير في الادب الانجليزي ب.ب. شلي ــ فكانت تغلب عليه الريفية أكثر من أصحابه الثلاثة ، مع انه الباني الجد ... تركي الملامح .

ذلك انه ولد في رأس البر ، ونشأ في السنبلاوين، واحب في قرية اسمها « نوسا » قريبة من المنصورة ، وتعلم في المنصورة

وهذه قصيدة حبه الاول والاكبر ... وعنوانها « الى نوسا » :

منك الجمال ومنى الحب يا نوسا
فطلى القلب ، ان القلب قد يئسا
يا حبذا نسمة من توحة خطرت
اطالت النفس من اسبابها النفسا
اضمها ضم مشتاق به خبل
قد رام كتم هوى احبابه فنسا
ان تسمعى قرع ناقوس بقريتكم
فى مطلع الفجر ينعى الليل والغلسا
فانه قلبى المنكود ... يذكركم
فهل سمعت بقلب قد غدا جرسا ؟
وان تالق برق فى سماوتكم
فانه من لهيب القلب قد قبسا
الروح ان تلمثت يوما ، فحاجتها
خمر سماوية فاحت بها قدسا
وانت يا « توح » روحانية خلقت
لكى ترينا علا الجنات منعكسا
هذا جمالك يدعونى لأعشقه
لكن ثغرك يا دنياى ما نبسا
الله يشهد انى حين اذكركم
اذيل دمعا على الخدين محتبسا
عسى نسيم الصبا يسرى فيسعف بى
قلبا يموت حزينا فى الغرام ... عسى
فان بعثت لنا عن « توحة » خبرا
فكم يحبك هذا القلب يا نوسا

بقى من هؤلاء الاربعة ، واحد ، هو الذى يروى لكم هذه القصة . وهو فى هذه الابيات يحدثكم عن ليالى المنصورة :

آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى
اين احلامى على تلك الروابى ؟
ذابت الاحلام فى قلبى المذاب
لى حبيب فيك افديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو الهامى واحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا اغترابى
اترى يذكرنى بعد الغياب ؟
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى
يا عروس النيل والبحر الصغير
حدثى عن ملك الغرب الغرير
يوم أن جاءك فى ذل الاسير
لفتى من آل ايوب امير
ذكره لا زال نفاح العبير
وهب النصر الى الأسد الغضاب
من بنى المنصورة الغر الاوابى
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

يا منى الشرق وباريس الجنوب
من كابناتك فى غزو الشعوب
شهداء المجد .. ابطال الحروب
وكغاداتك فى غزو القلوب
بالعيون السود واللحظ اللعوب
المنى بعدك من وهم السراب
والصبا فى غير لقياك تصابى
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ؟
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

قد صحبت النيل من فجر الصعيد
لرشيد .. والى اخت رشيد
ما دعا لحنى ، ولا غنى نشيدى

غير غاداتك في الخطـو الوئيـد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب
يتهادين بمعسول الدعـاب
آه مما بى .. وهل تدرين ما بى ،
يوم ودعتك .. ودعت شبابى

***

على ان قصة شعراء المنصورة لم تنته ، ولن تنتهى ...

ذلك ان المنصـورة ارض طيبـة ، تنبت الحب والجمال ، وتثمر الشعر والخيال .

ولا تزال هذه الارض الطيبة ، التى نفحت مصر بناجى وضـه والهمشرى ، وبغيرهم من الشـعراء الذين عاصروا جيلنا هناك ، ثم آثروا الصمت ، وانصرفوا عن الشعر ، كمختار الوكيل ومحمد رجب وسعيد السحراوى وجميلة العلايلى وملك السراج ... اقول لا تزال تنبت نبتها فى هـذا الجيـل الشاعر ، ومن ازكى هذا النبت ، الشاعر محمد الجيار ، الذى صدر له اخيرا ديوان « على الارض السلام » ..

ومن هذا الديوان ، من وحى المنصورة ، ولعينين من المنصورة ، يغنى الجيار هذه الانشودة :

انى ولدت بمقلتيك .. شببت فى هـذى العيـون
عينـاك يا سكنى الأخير .. به هربت من الشجون
دنياهمـا حـريتى .. حـرية الروح السـجين
عينـاك .. اى مدى أغوص به لأغوار السـنين
لى فى العباب جزيرة خضراء تعشـقها السفين
عينـاك لى ترنيمتـا حب سـاوى حنـون
بلورتان لسـاحر يشـتف غيبـا لا يبين
لا تطـرديني من سـما عينيـك للـيل الحـزين
فاحس انى آدم يهـوى الى دنيـا المنـون
علمتنـى حبى لـكل الناس .. حتى الحـاقدين
فغدوت احنـو بالعزاء على قلوب اليـائسين
وانا الذى بالدمـع كم قبلت دمـع البائسـين

***

سـلاما على المنصـورة ... هـذه الارض الطيبة
صالح جودت



وقفة ..

على هامش العدد الهجرى

حول إعادة الثقة بالحضارة الإسلامية

بقلم محمد السوادى

أعترف ـ سعيدا باعترافى ـ بأنى تأثرت كثيرا بتلك الباقة المثيرة التى أعدتها « الرسالة » الى قرائها على مطالع العام الهجرى حاملة اليهم فصولا ذات أبعاد .. وبحوثا ذات أعماق .. متنقلة بهم من عرض تاريخى الى سرد قصصى .. ومن نظر فلسفى الى صراع درامى .. هادفة الى ما يشبه « المسح الحضارى » للنهضة العلمية الشاملة التى أخرجت البشرية من « الظلمات الى النور فخفت أوربا الى ترجمتها تتبدد بنورها عتمة الليل الذى كانت تعيش فيه .

ولكن « شيئا » فى « عدد الهجرة » أشاع فى قلمى انتفاضة رهيبة .. لم أعد معها قادرا على أن أبرح محرابه .. أو أرده الى قرابه .

فما عسى ان يكون هذا « الشىء »؟ لعله مقال لكاتب ؟

هو فعلا مقال لكاتب .. عنوانه « هجرة جديدة » للأخ الزميل الأستاذ **عبده بدوى** .

وكل الذى أعرفه عن صاحب المقال أنه شاعر موهوب ومبدع .

ويبدو أن الشعر لم يشأ أن يتخلى عن الشاعر .. وهو ينهض فى توفيق بمهمة الكاتب .. فلاحقه الروح الشاعرى وهو يخاطب الرسول ـ ومن وراء الستين ـ ويحدق فى وجهه ليرتوى ـ أى الكاتب ـ ويقتات، وليأخذ زاده الى رحلة الحياة وهو موقف طبيعى ومعقول .. لأن أحدا لا يستطيع أن يطالب شاعرا مسلما يتحدث عن الهجرة بأن يسد أذنيه وهو يسمع اسم الرسول مقرونا باسم الله « والفجر يبعثر النور .. والظهيرة تلم العرق .. والعصر يتمايل بين النسمات .. والمغرب يبذر السكينة .. والعشاء يجعل السكينة يزداد ازدهارها وتضرب بمجاديفها السمراء .. ليصل الانسان الى مرفأ الراحة .. ووجه العبير .. وجزيرة الصمت » .

لا عيب اذن ولا لوم .

ولكن هذا الجمال الذى حلق بالشاعر الى هذا اللون من « الأشواق » أو من « الوجد » لم يكن هو « الشىء » الذى أثار القلم فى يدى .

انما « الشىء » الذى أريد أن أتحدث عنه .. هو عبارة من كلمات أربع .. أو ردها فى مقاله من غير أن يركز عليها .. وان كنت أشهد أنه وضع المقال كله فى خدمتها .. أشبه بالقضية المنطقية التى يختارها كاتب المسرحية .. ويحددها فى بضع كلمات .. ثم يسخر الفصول كلها .. والحوار بأكمله .. والأحداث فى تطورها وصعودها لخدمة هذه القضية .. بطريقة « التركيز غير المباشر » .

وأعنى بالكلمات الأربع .. مطالبة الكاتب بالعمل على « **اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية** » .

وانتفاضة القلم فى يدى .. انما تستهدف « التركيز المباشر » على هذه الدعوة الخطيرة ..

والسبب ؟

والسبب فى رغبتى فى « التركيز المباشر » هو الخوف .. خوفى أن يكون المقال قد كتب على طريقتنا فى الصحافة .. يعنى : اقترب العام الجديد .. قررت « الرسالة » اصدار « عدد ممتاز » .. وجب على الزميل عبده بدوى بتكليف من الاستاذ الزيات أن يعد موضوعا .. اختار عبده بدوى موضوعه وأبدع .. أحسنت يا أستاذ عبده .. ثم أسدل الستار .

ومعنى هذا .. أن المقال قد نشر .. ليطوى ..

ولكن الدعوة التى حملها المقال أشد خطورة من هذا الطى المحتمل .. ان الكاتب يؤكد ايمانه بأن الحضارة الاسلامية يمكن أن تؤدى دورها الضخم فى هذا العصر وهو يطالب بالعمل على انزاله « الى حياة الجماهير التى تعتبر السند الحقيقى له » .. وهو اذن يدرك أبعاد دعوته ونتائجها .. وهو يقدر اذن مسئولية التزامه بدعوة جريئة يريد أن ينزل بها الى حياة الجماهير .. ونحن نخوض غمار معركة رهيبة ضد الحضارة المادية .. وهو يحذرنا « من أن يسرقنا أحد لصالحه » فهل يجوز لمثل هذه الدعوة أن تقف عند حد هذا المقال ؟..

واحدة من اثنتين : اما أن تكون الدعوة جادة .. فتستأهل منا دراسة .. واما ان تكون « مقالا »

لطيفا تشر للبشرية ٠٠ وتكون الدعوة الى « اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية » قد أمست دعوة «متحفية» ولا سبيل الى بعثها من مرقدها فى التاريخ ٠٠ فلا داعى لمزيد من الحديث ٠

وواضح أن الكاتب جاد ٠٠

وانه يهيب بنا أن نستدعى ماضينا استدعاء لاهوادة فيه ٠٠ وان كان الكثيرون من شبان هذا الجيل ـ وبطريقة التفكير المستورد ـ يريدون أن ننفض أيدينا من ماضينا ٠٠ وأن نرفض هذا الماضى بكل ما فيه ٠

والحقيقة :

الحقيقة ـ فى رأيى أن الحضارة الاسلامية يمكن أن تؤدى دورها الضخم فى هذا العصر ٠٠ وفى أوسع نطاق ٠٠ وعلى أبعد مدى ٠٠ وبنجاح مقطوع النظير ٠٠ بل لعل هذا العصر بالذات ٠٠ هو العصر المهيا لقبول هذا الدور بالذات ٠٠ وعلى صورة غير مسبوقة ٠٠ ولعل وراء الصورة يد الله التى « كانت تحمى المصباح والرياح تعصف به » ٠

هذه الحقيقة ٠٠ هى هدفى من هذا البحث ٠

وأركز على ايمانى بأن هذا العصر بالذات ٠٠ مهيأ لقبول هذا الدور ٠٠ ومن حيث تنهار حضارة المادة ٠٠ تبتدىء حضارة الاسلام ٠

ولقد دخل عالم المادة كله ـ بغير تفريق مذهبى ـ فى دور الضياع والملل ٠٠ واتجاه الفكر الأوربى الى « العبث » و « اللامعقول » ٠٠ هو آخر شوط ٠٠ حاول فيه الجائعون الى المعقول ٠٠ أن يصلوا بين « الجوانية » مذهبيا ٠٠ و « البرانية » تطبيقا ٠٠ فمنيت محاولاتهم بالخيبة ٠٠ فضربوا بأجنحة اليأس فى الفراغ ٠٠ وفى الضياع ٠٠ فكان لا بد للعقل غير الواعى أن يبسط سلطانه على أطلال هذه الحضارة المنهارة ٠٠ برغم أن السطح ما يزال محتفظا بالبريق

وناقوس الخطر الذى يجلجل الآن فى كل مكان دقته أيديهم هم ٠٠ ولم تدقه لهم ٠٠ يد عربية متحازة الى عربيتها ٠٠ لا يد اسلامية متعصبة لاسلامها ٠٠ وحسبى أن أشير الى القمة المرعبة التى صورها « شبنجلر » أو رسمها قلمه لمصير هذه الحضارة ٠

ما أشبه الليلة ٠٠ بالبارحة :

وفى رأيى أن البشرية فى هذه الايام ٠٠ تكاد ترتد الى المكان الذى كانت تقف فيه قبل ظهور الاسلام يوم احس الانسان انه « يعيش فى غربة » وانه معزول عن الحياة » وانه يعانى « العقم » فى كل شىء كما قال الأستاذ الكاتب ٠٠ فأشرق عليه الاسلام حاملا اليه الأنس يبدد به الغربة ٠٠ والحب يبدد به العزلة ٠٠ والخصب يتجلى على أصحاب الرسول فاذا هم « ينفضون عن عباءاتهم الرمل والملل واذا بهم بعد سنين قليلة يخوضون فى المحيط الأطلسى ثم يعتذرون الى الله بأنه لا توجد أمامهم أرض يمكن أن تتحرك فوقها خيولهم » ٠

والسؤال هو : هل يمكن أن يؤدى الاسلام مرة أخرى ٠٠ نفس الدور الذى أداه عبر التاريخ أول مرة ؟

يجب أن نواجه التاريخ ليتولى الاجابة :

لقد تدخلت الحضارة الاسلامية فى مجرى التاريخ مرة فحولت مجراه ٠٠ هذه حقيقة وتدخلت فى سير التفكير الانسانى مرة فعدلت مساره ٠٠ وهذه حقيقة وكانت طريقتها فى تفجير طاقات الانسان الثورية على العفن الذى كان يعانيه ٠٠ أنها ملأت رأسه بأفكار جديدة ٠٠ وملأت قلبه بقيم جديدة ٠٠ فملك ما نسميه فى لغة العصر الحديث ٠٠ « ارادة التغيير » ومن حسن الحظ أن الحضارة المادية ٠٠ قد أهدرت « الفكر والقيمة » اهدارا ٠٠ وحقرت من شأنهما تحقيرا ٠٠ وجعلت منهما ذيلين لسير الأحداث ٠٠ مع أن الأحداث لا يمكن تغيير مجراها ولا تعديل مسارها بغير الفكر يملأ الرأس والقيمة تملأ القلب ولم يستطع الاسلام فى صدره أن يعيد تشكيل الواقع الا بما ملك من الفكر والقيمة ٠

واشهد أن هذه الحقيقة لم تفت الكاتب فعبر عنها بطريقته وهو يتحدث عن أصحاب الرسول فقال انهم « بمجرد احساسهم أنهم يمتلكون فكرا جديدا ٠٠ اعتقدوا أنهم لا بد أن يتحركوا هم الآخرون ليكونوا فى مستوى حركة الفكر التى كانت تشغل قبل ذلك نفوسهم ثم أصبحوا بعد ذلك يمتلكونها ويشدون عليها بالأيدى وبالأنفس » ٠

ومن هنا تبنت فكرة الكاتب ٠٠ أو دعوته ٠٠ الى « هجرة جديدة » وأكد بحق أن الاسلام قادر على أن

يقول كلمته فى كل شيء .. وان ، من اليسير رد كافة الايديولوجيات التى تحكم الانسان واقتصاده فى عالم اليوم الى جزئيات من كليات الاسلام الشاملة.

وهذا كله حق ..

ولكن مهمة اقناع الجيل الاسلامى المعاصر بهذا الحق .. مهمة شاقة .. بسبب الأجهزة التى استوردناها .. وأمست تدير طريقة التفكير فينا .. ونجاحنا فى هذه المهمة .. هو وحده الذى يعيد الثقة بالحضارة الاسلامية ..

ومرة أخرى :

مرة أخرى أقول : ان من حسن الحظ .. أن يتجه الكثيرون من فلاسفة العصر الى مواجهة الحقائق بشجاعة .. والى تسفيه المادية وما تمخضت عنه من رزايا الضياع والملل .

وقد أسعدنى أن يتجه المفكر الكبير الدكتور زكى نجيب محمود الى أن يدلى بدلوه على صورة رائعة وهو يناقش « الحتمية » و « ارادة التغيير » عند الماركسيين ويثبت التناقض الواضح بينهما « لانه مع الحتمية لا تكون ارادة من جانب الانسان اذ لا يبقى لهذا الانسان ازاء تطور التاريخ الا أن يتفرج على ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء » فاحدى اثنتين « اما ان يكون التاريخ محتوم المسير ، وبذلك لا يكون فى خطواته **جديد** أو أن يكون فيه **جديد** يظهره مرحلة بعد مرحلة وبذلك لا يكون محتوم المسير » .

ومن هنا قلت ـ وأعيد القول ـ أن هذا العصر بالذات مهيأ لقبول هذا الدور .. دور الحضارة الاسلامية .

وأعود :

أعود الى الدعوة التى توجه بها الزميل عبده بدوى .. الى « هجرة جديدة » تخرجنا مرة أخرى « من الظلمات الى النور » .

ونحن اذ نؤيد هذه الدعوة .. انما نؤيدها على مستوى العصر وتقاليده .. وعلى مستوى الفضاء والسفن السابحة فيه .. وعلى أساس الخاصية الكبرى ـ من خصائص الاسلام ـ وهى قابليته للتطور .. ومسايرته للترقى .. وللارتفاع الى كل مستوى فكرى .. لأى عصر يفكر .

أعود الى الدعوة لأقول ان الأخ عبده بدوى وزملاءه الذين يملكون شيئا من السلطان فى قطاع النشر .. مطالبون بمواصلة هذه الدعوة .. والالحاح عليها .. والمطالبة بعملية « توعية » بحضارة الاسلام تنطوى على عناصر الاستهواء .. وتنطلق الى كل الأرجاء .. وتتكاتف فيها أجهزة الاعلام .. بدءا بالطفل فى روضة الأطفال .. وانتهاء به مع نموه الى المراحل الجامعية .

وللمرة الثالثة :

ومن حسن الحظ مرة ثالثة .. أن دعوة الكاتب قد مهدت لها الجمهورية العربية عندما فتحت ذراعيها لعلماء المسلمين يجتمعون فوق أرضها ليمثلوا شعوبهم وليصدروا فى جلسة الاربعاء ١٩ مايو وبالاجماع قرارا بالموافقة على انشاء صندوق تمويل من جميع الدول الاسلامية لنشر الدعوة الاسلامية فى جميع انحاء العالم . واعادة الثقة الى الحضارة الاسلامية شيء .. ونشر الدعوة الاسلامية شيء آخر .

ولكن الاثنين جناحان لطائر واحد ..

وفى ظل نشاط العلماء على مستوى الدول .. وبقوة التمويل والموعظة .. وبنور الايمان يغزو الظلمات فى المجاهل .. يمشى الفكر الحديث مزودا بوسائله العلمية الى اعادة الثقة بحضارة الاسلام بالافكار تملأ الرؤوس وبالقيم تملأ القلوب .

اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية لا تعنى نشر الدعوة ولا تعاليم الاسلام ولا أحكام الشريعة فليمض العلماء الأجلاء الى الدعوة الى الله فى مختلف الدول وعلى كافة المستويات وليمض معهم مجمع البحوث الاسلامية فى مهمته العظمى فى حمل أمانة الدعوة الى الناس كافة .. ثم ليمض رجال الفكر الى اعادة الثقة بالحضارة الاسلامية .. بمواهب أخر .. أكثر عصرية .. وأكثر فاعلية .. وبوسائل أخر .. تتصل بالتربية وبرامجها .. والمذاهب وفلسفتها .. والتاريخ وحقائقه .. وتتساند فيها فروع المعرفة كلها .. وتلتقى فى النهاية بالأهداف التى تعمل لها أجهزة الدولة اليوم نشدانا للعدل ونشرا للخير .

اريد أن أهيب بالزميل الكاتب واخوانه ـ ومنهم اخوان لى زاملونى طويلا ـ أن يتابعوا دعوتهم فى اصرار ـ وايمان .. وبهذه المتابعة المصرة المؤمنة .. يمكن أن نرفع الراية فوق السارية .. وبغير هذه المتابعة .. سوف يذهب المقال المليح مع الريح .. واخشى أن تشتد الريح .. وفى لوعة أشد مرارة من الخشية .. اضرع الى الله الا تنطفيء المصابيح .

« محمد السوادى »

أين الشاعر الموهوب..؟

للدكتور: عبد الرحمن عثمان

- ٤ -

سيجد قراء الرسالة فى الأحداث التى كان يموج بها العالم العربى الجواب الذى ينتظرون ، وبها وحدها سيهتدون الى مطالع المواهب والنبوغ عسى أن يظفروا هناك بالموهوبين والنابغين !!

وحينما يطالعهم الجواب من خلال الأحداث التى سنستعيدها معهم فى هذا المقال سوف يدفعون عنا الكثير مما نتوقع من اتهامات بالتجنى على الشعراء الناشئين الذين تعج بهم دولة القريض ، وتعمر بهم سوق الشعر ، ولعلهم يخففون أيضا علينا ما نرتقب من حملات مشبوبة ومصاولات حامية الوطيس تلك التى ربما كان من أيسرها وأخفها وقعا حرماننا من التذوق الفنى ، وتجريدنا من فهم معانى الشعر الذى ينظمه شعراؤنا المعاصرون داعين فيه الى الوطنية ، والوحدة العربية الشاملة ، واقامة المجتمع المتماثل" الذى يسوده العدل ، وتتحقق فيه المساواة وتكافؤ الفرص ·

ولا ريب أن قراء الرسالة ــ وهم صفوة الفاقهين لحقيقة الشعر ــ سوف لا ينخدعون بموضوعات الشعر عن جماله الذاتى الذى ينبغى أن يتوافر له من حيث هو فن آسر ، وحسن صراح ، فالموضوعات الشعرية شىء ، وجمال القريض شىء آخر ، اذ الشعر لا يقبس جماله من أهدافه النبيلة الا بعد أن يتم له الحسن والقبول من روعة نسجه ، وصفاء ديباجته » وكثرة مائه ، ولا تأتيه هذه الخصال الا من نبع الملكة الكاملة ، ومعين الموهبة الفياض ، وحين يجتمع كل هذا للشعر يستولى على القلوب ويخلب الألباب والأفئدة ·

وهذا الأثر المرجو للشعر الجيد هو الأساس الذى ينبنى عليه الحكم بالحسن والقبح فى مجال نقده وتفضيل نوع منه على آخر ، فقد سئل ناقد ذواقة : من أشعر الشعراء ؟ فكان جوابه : أشعر الشعراء من أنت فى شعره حتى تفرغ منه ·

وقد فطن الشاعر الفرنسى الكبير والأب الروحى للمذهب الرومانتيكى « فيكتور هيجو » الى اعتداد بعض الشعراء بالموضوعات الشعرية اعتقادا منهم أن نبل الموضوع وشرفه يرفع من قيمة الشعر ولو كان رديئا ، فأكد لهم أن كل موضوع يصلح للتناول وأن المدار فى الحكم على الفنون الشعرية انما يرجع الى شىء واحد : هو الجودة أو الرداءة ، والموضوع بمعزل عن هذا ، ولكن الهدف اذا كان شريفا مع حسن الصياغة وجمال التصوير اكتسب به الشعر شرفا على شرف ، وازداد به جمالا على جمال ·

ولا أحب أن أشق على قراء الرسالة فأستعيد معهم الأحداث المتعاقبة التى توالت سراعا على المسرح العربى منذ أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، بل سأقصر حديثى معهم على أحداث ثلاثة هزت المشاعر

العربية هزا غير رفيق ، وافعمتها بالانفعالات التى انتظمت النفوس الموهوبة وغير الموهوبة على السواء ، فقد انفعل بها الفلاح فى حقله ، وتأثر بها العامل فى مصنعه ، ووعاها المثقف فى مجاله الثقافى وعيا جرى فى كل قطرة من دمه ، لأنها من جسام الحوادث التى تحفر آثارها على القلوب والضمائر ، فقد كانت بدايتها ضياع فلسطين العربية ، ثم ما استتبع هذه النكبة من ثورات وطنية هنا وهناك ، حتى انتهت بالحماقة التى اقترفها الاستعمار حين اعتدى على بور سعيد بقواته التى انسحبت بالخزى والعار ·

ان كل قارعة من هذه القوارع كانت كفيلة بأن تحرك فى خواطر الموهوبين من شعرائنا المعاصرين موجات شعورية صاخبة، تفيض بها مشاعرهم لتحرق بنارها أعداء الأمانى الوطنية من غاصبين ومعتدين ، وليسرى على نورها أبناء هذا الجيل مستحدثين الخطا نحو أهدافهم الوطنية وأمانيهم القومية ·

فهل نستطيع أن نقول : اننا ظفرنا فى هذه الغمرة بشاعر واحد وصف لنا الهول الذى عاشت فيه أمتنا، أو وضع أيدينا على الجراحات الأليمة التى تركتها نكبة فلسطين ، وخلفها العدوان الثلاثى الأحمق ؟! وهل نستطيع أن ندعى لشعرنا المعاصر : أنه نثر مفاخرنا الاشتراكية ، أو جال فى مفهومها الأصيل مستحدثا فيها سبلا ، ومضيفا اليها ما يلائم طبيعتها ويعمق من مجراها ؟!

ان الشعر المعاصر لم يصف المأساة على نحو نجده دائما فى قلوبنا ، ولم يستحدث جديدا فى أمر الاشتراكية تتوق اليه هممنا وتنشط له عزماتنا ، فما عسى أن تكون رسالته حينئذ ؟ انه يبدو فى تقديرنا متجردا من الامتاع والفائدة على السواء ، وما نراه الا أنه يقف عاريا من كل فضيلة تكسبه حسنا ، اللهم الا اذا كان مجرد النظم فضيلة يرقى بها فى درجات الحسن والقبول !!

ان ما نظم من الشعر فى هذه الأحداث كثير كما نعرف ، ولكن الجيد منه ينكمش فى صورة أبيات متناثرة خلال القصائد ، وتلك الأبيات لا يمكن أن تؤلف وحدة شعورية تتعاون فى خلق الأثر الذى يسيطر به الشعر على النفوس ·

نحن لا نظلم الشعراء المعاصرين حين نحكم على قصائدهم الوطنية هذا الحكم الذى قد يرونه جائرا ، لأننا نريد منهم خيرا مما يقدمون الينا ، وفى بعضهم نبوغ وكفاية ، فهم قادرون على نظم الرائع الآسر لو تخلصوا من قيودهم التى قيدوا بها أنفسهم ، ولن نقنع منهم بالمحاولات الموسومة بالفتور ، والمتشحة بالأردية الباهتة التى نصل لونها ·

اننى لا أكاد أسمع فتى أو كهلا يردد قصيدة أو ينشد بيتا من شعر هذه الفترة ، لأنه حين ينتهى من قراءته أو سماعه يجد الصور متشابهة أمام ناظريه ، ولا يحس بأن هناك بيتا منها أصبح لاصقا بطبعه وماثلا فى ذاكرته ، والمرء حين يخلو الى نفسه يدعها لتحدثه بما وقر فيها من خير أو شر ، فاذا أرادها ان تحدثه بما سمعت من خير أو شر من هذا الشعر وجمت ولاذت بالصمت الموحش !! والسر فى ذلك أنها لا ترى فى شعرنا المعاصر ما يستحق أن يروى .

اننا لا نملك من حجة فى هذا المقام أبلغ من أن نستعرض مع القراء ما وعدنا به فى صدر هذا المقال ، ليروا بأعينهم وليدركوا بألبابهم أن مكان الشاعر الموهوب فى عصرنا لا يزال شاغرا ، وأن الفراغ فيه يمتد الى غير حد ·

أولا ـ تآمرت الدول الاستعمارية عام ١٩٤٨ على صميم الوطن العربى فاقتطعت منه قطعة عزيزة علينا وقدمتها الى شذاذ اليهود ، وهذه المؤامرة الخسيسة مست مشاعرنا مسا غير رفيق ، وأفعمت كل نفس عربية بالمرارة والأسى ، وأذاقتها طعم الذلة والهوان ·

ولا أحسب أن شعراء العرب لم يحسوا هذا الاحساس الأليم ، ولكن الذى أحسبه أن انفعالهم بهذا الحدث الجسيم لم ينتقل فى صورهم الشعرية الى مشاعر الشعب ، ولم يظهر على هيئة فن مثير يهز به الفنان الأصيل الوجدان الوطنى الذى كان يغلى ولا يزال ، فان أكثر ما قرأناه ونقرؤه من قصائدهم التى نظمت فى نكبة فلسطين تحمل ـ كما قلنا ـ احزانا وآلاما مما يجدها الشعب كله فى كيانه ، فهى أشبه بالحكاية التاريخية منها بالشعر المؤثر ، وليس فيها ذلك المعنى القوى الذى يهيج النفس ويجدد فيها ألما ، ويستثير منها أملها ·

ثانيا — لم يكن الشعر المعاصر أحسن حالا مما قدمناه وهو يعبر عن الثورات التي نجمت عن هزيمة سبعة جيوش عربية فى حرب فلسطين . فقد كان لما لمسه جنودنا البواسل هناك من غدر وتفكك فى الصف العربى ، ومن عبث الدول الغربية بآمالنا المشروعة ما جعلنا نفكر فى حاضرنا ومستقبلنا على أسس جديدة تدعمها الوحدة الشاملة وتسندها عدالة فى توزيع الثروة القومية ، ويشد أزرها تحرر من قبضة الاستعمار الغربى وتخلص من مناطق نفوذه المنبثة فى شتى الأصقاع .

وما هى الا سنوات أربع حتى انطلقت فى مصر ثورة بيضاء نبعت من الشعب ، واتجهت الى رفاهية الشعب وسعادته ، ثم تلتها ثورة حمراء قانية فى الجزائر أحرزت انتصارها بعد سنوات طوال بالدم الذكى الذى خضب كل شبر فى تلك الأرض الطيبة المناضلة ، وكان الشعب فى سوريا يراقب الأحداث ويتجمع للوثبة فتعاقبت عليه ثورات وثورات مما يدرك خفاياها الراصدون من رجال السياسة ، وكان فى العراق غليان انتهى بالثورة الوطنية الأخيرة ، كما انتهى حكم المظالم فى اليمن الشقيق ، ولا تزال الأحداث تتوالى فى السودان على نحو ما نعرف الآن .

فكل هذه الفورات الوطنية شهدناها عارمة فى الوطن العربى ، ولم نشهد من الشعر المعاصر الا حماسة فاترة ، شأن من يرقب النهاية ولا يريد أن يقول كلمته قبلها !!

ان تلك الانتصارات العربية الرائعة اكتفى فيها الشعر المعاصر بالتصفيق والهتاف والمدح الذى لا يحتاج اليه أحد ، ولم يشأ أن يشارك فى المعركة الكبرى بالرأى والتوجيه ، حتى أصبح بعض شعرائنا لا يختلفون فى قليل أو كثير عن « فتوات » الأعراس وهم يؤدون « الواجب » الذى يفرضه عليهم تطفلهم على عرس فرضوا أنفسهم عليه فرضا .

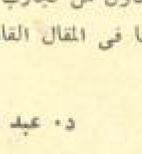
ثالثا : هكذا كان شأن الشعراء فى العدوان الثلاثى على مصر ، فنحن اذا استثنينا بضعة أبيات من قصائد ليست بالمستفيضة ، وجدنا نسقا من النظم يجرى على أوزان العروض ، ولا يسبح بأى حال من الأحوال فى فلك الشعر الأصيل .

وبعد .. فأمير الشعراء أحمد شوقى يصور لنا الطبيعة الفنية والنبوغ فى الشعر حين يقول فى شكر من بايعه بامارة الشعر :

انما أظهروا يد الله عندى
وأذاعوا الجميل من احسانه
ماالرحيق الذى يذوقون من كر
مى ، وان عطشت طائفا بدنانه
وهبونى الحمام لذة سجع
أين فضل الحمام فى تحنانه ؟!
وتر فى اللهاة ، ما للمغنى
من يد فى صفائه وليانه

وعلى ضوء هذا كله نستطيع أن نقول فى ثقة ان الشاعر الموهوب لم يظهر بعد فى جيلنا ، وان أحدا لا يجرؤ على التنبؤ بوقت ظهوره ، فالنبوغ فى مجال الفنون لا ضابط له ، وان انضبطت قوانينه وقواعده فى العقول التى ألفت المنطق ، وتعودت أن تستقيم على منهجه فيما تحاول من تجارب وبحوث ، وسوف نزيد الأمر وضوحا فى المقال القادم .

د. عبد الرحمن عثمان



الفردية كما يصورها القرآن

بقلم : على العمارى

حين يستحكم الشح فى نفس الانسان يفقده انسانيته ، ويجعله (أنانيا) أثرا ، لا يحب الا نفسه ، ولا يطلب الخير الا لها ، فهو – حينئذ – يشعر شعورا قويا بذاته، ويخيل اليه ان الدنيا ، وما فيها لم تخلق الا لمنفعته ، أو ينبغى ان يكون الأمر كذلك، وتبعا لهذا الشعور يضؤل شعوره بالجماعة ، أو يمحى ، بل ربما تمكنت البغضاء والحقد فى نفسه عليها ، لا سيما اذا لم ينل كلما يرغب فيه فيكون شعاره **اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر** .

وقد يتمثل هذا الشح فى حرمان الآخرين من الخير الذى حبسه الشحيح على نفسه ، وقديستبد به الشح فيحرم نفسه كما يحرم غيره ، لأن لذته – حينئذ – ليست فى الاكل الهنىء ، والملبس الفاخر ، والمركب الفاره ، وانما شهوته ان يجمع المال ، وان يجمعه فقط ، وهذا شان أكثر البخلاء ، يحرمون الناس مما أعطاهم الله، ويحرمون انفسهم، ويكتفون بان تنال نعيمها فى النظر الى المال ، مقيدا فى خزائنه او محبوسا فى مصرف . ومن شان هؤلاء الا يقتنعوا بمال مهما كثر ، فهم – دائما – يشعرون بالحاجة الى الجمع، بل كلما كثر عندهم المال زاد خوفهم من الفقر ، وليسوا فى هذه الحال باهدأ بالا ، ولا باقر عينا من الفقراء ، وهذا معنى قول المتنبى :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله

مخافة فقر ، فالذى فعل الفقر

ولا سبب لكل هذا الا طغيان (الفردية) على هؤلاء البخلاء ، وسيطرة غريزة (الملك) على نفوسهم ، وذهاب الاحساس بالجماعة بعيدا عن دائرة شعورهم .

والقرآن الكريم يحارب هذه الفردية الطاغيةالتى تصل بصاحبها الى الأثرة ، والى حرمان ذوى الحقوق حقوقهم ، ويدعو المؤمنين الى أن يحسوا بالمجتمع الذى يعيشون فيه ، وأن يؤدوا ما له عليهم من حقوق .

وهو – حين يحارب الفردية – لا ينهج منهج الشيوعية التى تحاول جاهدة أن تقتل كل النوازع الفردية ، وحين يحترم ارادة الفرد لا يذهب مذهب الراسمالية التىتصرف كل جهودها فىسبيل سيادة أفراد فى المجتمع على آخرين فيه .

وانما يهدف القرآن ، وكل تعاليم الاسلام الى **الوسطية** فهو يعترف للفرد بوجوده ، وبغرائزه ، وعواطفه ، وميوله ، وكل نوازعه الشريرة ، والخيرة، ويعترف للمجتمع بحقوقه على أفراده ، ويحاولأن يقيم التوازن بين احساس الفرد بنفسه، واحساسه بالجماعة .

وفى النفس الانسانية نزعتان قويتان ، احداهما تميل به الى ذاته ، والاخرى تجذبه الى مجتمعه ، وتغلب احداهما على الاخرى ربما اضر بالحياةالعامة فقد أخطات الشيوعية حين الغت وجود الفرد فيما يتصل بالملكية الفردية ، وأخطات الراسمالية حين أعطت للفرد ان يملك ما يشاء دون اعتبار للآخرين، وان كانت خفضت من حدتها أخيرا تحت ضغط النقد الشديد لها، فاتبعت نظاما فى الضرائب لا شك أنه أخفى جانبا من مساوئها ، ولكن غلطتها الكبرى هى عملها الدائب على افساد الطبيعة الانسانية القويمة .

والنظرية الاسلامية تقوم – كما قلت – على الوسطية ، فهى تبيح الملكية الفردية ، وتبيح للمسلم ان يتمتع بالطيبات من الرزق ، بل ، وتدعوه الى ذلك ، وبجانب هذا تنبهه فى كثير من نصوصها الى الذين يحيطون به من ذوى الحاجات ، بل ، وتنبهه الى حاجة الدولة ، وحاجة المجتمع – بعامة – الى بعض ما فى يده من مال . فاذا بخل وشح كان على

الحاكم أن يأخذ منه حق الفقير ، وأن يأخذ منه ما تقضى المصلحة العامة بأخذه .

ففى القرآن الكريم أكثر من سبعين آية ، تحث على الانفاق ، وتحبب فى البذل ، وهذه الآيات كلها تهدف الى ايقاظ عاطفة الخير فى الانسان ، والى التقليل من خطر الفردية ، الذى قد تغلغل فى بعض النفوس الانسانية .

ولقد سلك القرآن منهجا تربويا سليما فى نقل الانسان من فرديته الاثرة الى جماعيته الخيرة .

ففى السور الأولى التى نزلت بمكة ساس النفس بسياستين حكيمتين ، تكفى كل منهما ، لكى تستل من النفس المؤمنة ما يكون قد شاع فى شبابها من دواعى الانانية التى تنميها البيئة ، والتربية الفاسدة .

الأولى :

النعى على المعرضين حبهم الشديد للمال ، وعملهم الدائب لجمعه وكنزه ، واعتدادهم البالغ به ، وخديعتهم فيه ، وظنهم أنه اله يعبد ، وتكاثرهم ، ومفاخرتهم به حتى ألهاهم ذلك عن طاعة الله .

ففى أول سورة نزلت من القرآن ردع شديد لمن كفر بنعمة الله عليه ، فطغى حين كثر ماله ، وتهديد له بأن مرجعه الى الله ، فسيجازيه على طغيانه : (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى أن الى ربك الرجعى) .

واذا كانت هذه الآية نزلت فى أبى جهل — كما يقول المفسرون — فان ذلك لا يمنع أن يكون هذا شأن كل معرض عن آيات الله ، وان الله يحذر كل من يطغيه المال .

وفى السورة التالية ، وهى سورة القلم جعل كثرة المال أحد الأسباب التى تحمل الحمقى على التكذيب بآيات الله ، وقد جاء هذا الحكم على أحد كفار قريش — وهو عام — بعد ما وسمه القرآن بمياسم من العيوب ، لم يصف بها أحدا قبله ، ولا بعده ، فهو كثير الحلف بالباطل ، حقير ، ذليل ، مغتاب ، يكثر من الطعن على الناس ، والعيب فيهم ، ويسعى بالنميمة للافساد بينهم ، وهو بخيل بالمال ، مانع لكل خير ، صاد عن سبيل الله القويم ، وهو ظلوم فاجر ، سيىء الخلق ، شديد فى الخصومة بالباطل .

ومع كل ما وصف به من هذه الصفات المذمومة هو دعى فى قريش ، ينسب اليهم ، وليس منهم : (ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم ، عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين ، اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) .

فهذا الصنيع الذى ينظم البخل فى جملة هذه الصفات الكريهة ينبه الاذهان الى شناعة البخل ، ومن ثم الى ما يجره المال على صاحبه حين يمنعه عن ذوى الحقوق فيه .

وهذه الصفة (مناع للخير) اشارة بالغة فى أول العهد بالدعوة ، وبنزول القرآن الكريم الى ما يبغضه الله سبحانه من صفات ، وما يدعو اليه الدين الجديد من محاسن الأخلاق .

نعم ، كان العرب يكرهون البخلاء ، ويحتقرونهم ، ويسمون البخيل (الفاحش) فاقر القرآن هذا الوجدان فيهم ، وسمى البخل (فحشاء) فى قوله : (الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء) ولكن الحديث عن البخل فى ثانية السور نزولا يدل على مدى سخط الله على البخل ، والبخلاء .

واذا كانت آيات سورة (العلق) وصفت الانسان بالطغيان حين يستغنى ، وآيات سورة (القلم) أخبرت أن المال كان أحد سببين فى التكذيب بآيات الله فان آيات أخر من سورة (الهمزة) أشارت ان المال يحمل صاحبه على احتقار الناس ، وأنه يخدع صاحبه فيظن انه يخلد فى الدنيا ، ولا يموت ليساره ، وغناه ولذلك تهدد القرآن أمثال هذا الغنى بالويل فى أول الآيات ، وبالنار التى تحطم العظام ، وتكسرها فى آخرها : (ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده كلا لينبذن فى الحطمة) .

والمراد بالهمزة اللمزة من ينال من أعراض الناس ، ويغض من أقدارهم ، ويطعن فيهم ، ويدخل فيه من يحاكى الناس فى أقوالهم ، وأفعالهم ، وأصواتهم ليضحك منهم .

ومن أوائل السور نزولا سورة (العاديات) وفيها وصف الانسان بأنه شديد الحب للمال : (وانه لحب الخير لشديد) ، وسورة (الفجر) وفيها قوله تعالى: (وتحبون المال حبا جما) والسياق فى الموضوعين يشير الى أن هذا الحب غير محمود ، ذلك انه اقترن فى السورة الأولى بجحود الانسان لنعمة ربه (ان الانسان لربه لكنود . وفى الثانية بأكل التراث أكلا لما .

السياسة الثانية :

عناية القرآن (باليتيم) فى هذه السور الاولى ، فكل من ينعم بعاطفة الأبوة ، وهو غير غافل عن حقيقة الحياة ، يهون عليه البذل لاكرام اليتيم ، فهو على يقين من الموت ، وقد يصبح ابنه فى يوم قريب يتيما ، وربما احتاج الى من يرعاه .

فبهذا الشعور الخليط من الخوف ، والشفقة ، والعطف يعطف القادر على اليتيم ، ومتى هان عليه البذل فى حق من الحقوق، ألفت نفسه البذل فى جميع الحقوق الاخرى ، وهان عليه - بل رآه حسنا وجميلا - ما يؤخذ منه فى سبيل مصلحة الجماعة.

على أن القرآن هز قلوب الناس ، وعواطفهم هزا عنيفا ، لا هوادة فيه ، ولا رفق حين عنف الذين يجفون اليتامى ، ويدفعونهم عن حقوقهم ، وأموالهم ظلما ، وعدوانا ، أو يتركون مواساتهم ، وان لم تكن واجبة : (أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين).

قال جار الله الزمخشرى فى هذا الموضع من تفسيره : (جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف، والاقدام على ايذاء الضعيف ، يعنى انه لو آمن بالجزاء ، وأيقن بالوعيد لخشى الله تعالى ، وعقابه ، ولم يقدم على ذلك ، فحين قدم عليه علم أنه مكذب، فما أشده من كلام ، وما أخوفه من مقام ، وما أبلغه فى التحذير من المعصية ، وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف الايمان ، ورخاوة عقد اليقين).

ثم ان هذه السورة القصيرة لم تنته حتى وصمت البخلاء بوصمة لايمحى أثرها ، وطعنتهم طعنة نافذة ، فدعت عليهم بالويل والثبور : (فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون).

فقد وصفت هؤلاء - بعد ان توعدتهم بالهلاك - بثلاث صفات معيبات : التهاون فى الصلاة ، والمراءاة بالأعمال الطيبة ، والبخل . وفى هذا ما يرشد الى أن البخل وخيم العاقبة .

والمشهور فى تفسير الماعون أنه ما لا يحل منعه مثل الماء ، والملح ، والغربال ، وكل ما ينتفع به الجيران ، قال العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران ، فيعيرهم، ويتفضل عليهم ، ولا يقتصر على الواجب .

وانما كان منع الماعون مستحقا للهلاك ، لأن منع هذه الاشياء القليلة الهينة - وقد يكون الجار محتاجا اليها - هو الغاية فى البخل ، وهو يدل على ما يتحكم فى نفس المانع من فردية ضارة بالمجتمع.

وهدف القرآن الكريم فى كل هذا التحذير ، والتصوير ليس مجرد حث الانسان على أن يجود بماله ، ولكن أن يقتلع من نفسه حب الذات الذى يمنع من حب الجماعة ، وان يبعد عنه الأنانية التى لا يقوم معها مجتمع صالح ، وأن يجعل حب البذل والعطاء سجية فيه ، فلا يستكثر ما يعطى، ولا يبخل فى حق ، ولا يقعد عن واجب .

وليس من المعقول ، ولا المقبول أن يكون المقصود من وضع البخلاء فى هذا الاطار الذى يهرب كل عاقل أن يضع نفسه فيه مجرد الحث على الاحسان، وانما الذى يمكن أن نعقله ونقبله أن يكون الغرض هو رسم صورة من الصور الشاذة فى المجتمعات ، هذه الصور التى أراد الله للمجتمع الاسلامى أن يتطهر منها ، فانها تشوه جماله ، وتعوق تقدمه ، وتحد من رسالته فى اسعاد البشرية .

على أن هذه الصورة للفردية كما رسمها القرآن لم تتم بعد ، وموعدنا بالحديث عن أطرافها الاخرى فى مقال تال ان شاء الله .

على العمارى

الطير المسافر

للشاعر : ابراهيم محمد نجا

يا طير .. يا مسافرا بغير زاد او متاع
يا من ترافق الغيوم .. والهموم .. والضياع
يا من تصارع الرياح .. زورقا بلا شراع
متى سينتهي المطاف ؟ اين غاية الصراع ؟

يا طير قد ابعدت عن ديارك التي هناك
وفي الديار عشك الحبيب ، والهوى ، ومن هواك
يا طير .. مرت أشهر ، وما رايته ، ولا رآك
والوجد يكوى قلبه .. والشوق نار في حشاك

يا كم رايت من صباح ضوئه الواهي .. دموع
ومن مساء تم ينور قلبه ضوء الشموع
ومن ربيع عشت فيه .. زهرة بلا ربيع
ومن شتاء عذبت رؤاه قلبك الوديع

يا طير كم طرت وحيدا في متاهة السحاب
وتحتك الجبال لفها السكون والضباب
والبحر يبدو من بعيد كالوهاد والهضاب
وكم حملت من عذاب ، واحتملت من صعاب

حتام تمضي في الفضا بلا هدوء او قرار ؟
بحثا لعشك الحبيب عن منابع ازدهار
يا طير في العش البعيد افرخ زغب صغار
والفك الذي سقيته عذاب الانتظار

يا طير .. لن تقوى على احتمال غربة السفر
في كل نبرة .. تضيع قطعة من الوتر
في كل خفقة .. تموت لحظة من العمر
وكل ما تعطى الحياة .. بالحساب والقدر

عد قبل ان يقول صوت هامس : فات الاوان
وقبل ان تطلق سهما نافذا كف الزمان
يا طالما عشت غريبا .. في الزمان والمكان
فعد الى العش الحبيب .. كي تعيش في امان

القاهرة ... من البرج

للدكتور : عفيفي محمود

« سندباد » مر في رحلته عبر بلادي
ليرى جوهرة الله على صدر البوادي
هذه عاصمة الشرق ··· وذا « برج الجزيرة »
اين منه صولجان الفن في كف أميره ؟!

« سندباد » راح من شرفته العليا يطل
ويملي بالجمال البكر عينا ·· لا تمل
لوحة مسحورة الألوان والأضواء ·· تفتن
··· وبدت في عينه الأرض عروسا تتزين !

رقدت في صدرها « القلعة » : قنينة عطر
والبساتين على مفرقها ··· اكليل زهر !!
وعلى اكتافها الصحراء : شال من قصب
وتلال القمح في الشعر : فصوص من ذهب

ومراعي العشب : منديل من القز الثمين
وحقول القطن حول الجيد : عقد الياسمين !

وبدا « النيل » شريطا من لجين
جمل النحر ··· وحلى المفرقين

وكان الطمي في الكف خضاب العنبر
ونخيل « المرج » وشم عبقري الصور !
و «أبو الهول» مع «الأهرام» في الصحراء جاثم
فهما في موضع القلب : حجاب ·· وتمائم !!

وانبرت في الجو آلاف المآذن
شامخات في قراها والمدائن

كشموع ساطعات زغردت في حفل عيد
داعيات لعروس النيل بالعمر المديد !

الفلسفة الإسلامية في جامعات أوروبا

للدكتور : محمد مختار القاضي
استاذ القانون المدني بجامعة الازهر

- ٣ -

في حديث مضى ذكرت طائفة الرهبان الدومينيكان باعتبارهم خصوم الفلسفة الاسلامية في جامعات اوربا في العصر الوسيط ، وقلت ان سبب هذه الخصومة يرجع الى منازعات سياسية ودينية بين مسلمي الأندلس وفرع هذه الطائفة هنالك ، وكانت هذه المنازعات تشتد كلما غربت شمس المسلمين عن سماء الأندلس . ولم يكن من قبيل الصدف ان يتزعم حركة المعارضة للفلسفة الرشدية اخ دومينكي هو القديس البرت الأكبر ، ولد هذا القديس في بفاريا حوالى سنة ١١٩٣ ميلادية ، واقام بها ثم التحق طالبا بجامعة بولونيا وجامعة بادوفا ، وكانتا من مراكز الثقافةالإسلامية حينذاك . ثم التحق بطائفةالرهبان الدومينيكان، فارسلته الطائفة الى جامعة باريس ، وهناك حصل على لقب استاذ في علم اللاهوت ، ثم اخذ يعلم بهذه الجامعة على كتب ارسطو رغم انها كانت محرمة . وعند ما شهر اسمه اشار عليه البابا بكتابة رسالة ضد ابن رشد ، فكتبها تحت عنوان « في وحدة العقل ردا على ابن رشد » ولعل ميول القديس البرت الى الفارابي وابن سينا ، وهما من المسلمين المشارقة ، ومعارضته لابن رشد وهو اندلسي ، لعل ذلك له صلة بالخصومات السياسية بين مسلمي الأندلس والطائفة الدومينيكانية هناك .

ولم يكن تلميذ البرت الأكبر اقل معارضة من استاذه للفلسفة الرشدية . وتلميذه هذا هو القديس توما الأكويني ، وهو اخ دومينكي شديد العصبية وخاصة ضد ابن رشد . فبينما كان يعتبره العلم الأول في المنطق واستاذه في المنهج كان يتهمه بالزندقة في ارائه وخاصة الميتافيزيكية (ما وراء الطبيعة) وعلم النفس . والقديس توما الأكويني اخ دومينكي معروف ، عاش بين سنتي ١٢٢٥ و ١٢٧٤ وهو ابن كونت دي اكوينو بايطاليا الجنوبية ، التحق في الرابعة عشرة من عمره بجامعة نابل (كلية الفنون) ثم انضم الى الطائفةوارسل الى باريس فتتلمذ على البرت الأكبر ، ثم سافر مع استاذه الى كولونيا ثم عاد الى باريس واخذ يعلم في جامعتها . ويبدو متعصبا لآراء ابن سينا وخاصة في كتابي ابن سينا « في العقول » و « في صدور الوجود » ويميل الى ابن سينا وابن رشد ايضا في رسالة كتبها هو تحت اسم « في الوجودوالماهية » ولكنه حينما ياخذ باراء ابن رشد ، وهو اندلسي على عكس ابن سينا ، ينسب هذه الآراء لنفسه ، فقد نسب لنفسه نظرية في حرية الارادة بسطها جلسون باعتبار انها لهذا القديس ، وهي في الحقيقة لابن رشد . حتى براهينه التي قدمها في هذه المسالة يسرقها من ابن رشد دون ان يشير اليه .

لم يقتصر التعصب من هذه الطائفة ضد ابن رشد على القديس البرت الأكبر وتلميذه القديس توما الأكويني بل امتد الى اخ ثالث من الاخوان الدومينيكان هو الشاعر الايطالي دانتي (١٢٦٥-١٣٢١) فرغم ان البحث العلمي الدقيق الذي قام به مستشرقو اوربا اثبت ان تصوير دانتي للعالم الآخر سرقه من قصة المعراج او من رسالة الغفران للمعري،وبذلك يكون مدينا للفكرالاسلامي بشهرته ، رغم ذلك فقد وضع في جحيمه الفيلسوف الأندلسي ابن رشد ، بين من لم يستطيعوا النجاة بانفسهم من المطهر (الأعراف) بسبب عقيدتهمالدينية ، وضع دانتي هذا الفيلسوف العظيم في جحيمه في الوقت الذي كان ينقل فيه الآراء الصوفية لمحيي الدين بن عربي وينسبها لنفسه في جحيمه ومطهره وجنته فالفلسفة الرشدية عند الدومينيكان كانت اذن محوطة بظروف سياسية او دينية تجعل هؤلاء يحاربونها في الظاهر ويعتنقونها في مؤلفاتهم باعتبارها من منتجاتهم الخالصة .

وليس ادل على ان خصومة الدومينيكان لابن رشدكانت خصومة خاصة دون ان تغض هذه من قدر الفلسفة الاسلامية في ذاتها ، ليس ادل على ذلك من ان دانتي ذكر في كتابين له هما convita والحياة الجديدة vita naiva ذكر طائفة من علماء المسلمين كالبطروجي والفارابي والغزالي وابن رشد ، كما ان وضعه لسيجر البراباتي في الفردوس (مع توما الأكويني) رغم انه كان رشديا متعصبا ، يدل دلالة قاطعة على ان هذا الأخ لم يكن يحارب تعاليم ابن رشد في ذاتها وانما كان يحارب شخص ابن رشد

اما انصار الرشدية الحقيقيون في القرن الثالث عشر فهم طائفة الرهبان الفرنسسكان مثل روجر بيكون،وسيجر البراباتي

وكان هذا الاخير استاذا بجامعة باريس ، طردته الكنيسة وصبت عليه اللعنة لانه كان رشديا زنديقا (١) ٠

وبينما كان توما الاكويني يعمل على تحقيق امل استاذه البرت الاكبر ، في انشاء ارسطوطاليسية مسيحية وكان معظم اساتذة كلية الفنون بباريس يراعون العقيدة في عرضهم للفلسفة كان بعض زملائهم يرون في فلسفة ارسطو كما شرحها ابن رشد (الارسطوطاليسية الرشدية) علما قائما بذاته ومثلا اعلى للعقل الانساني ٠ وايد ذلك ان كلية الفنون لم يكن اساتذتها من الكهنة العاملين وانما كانوا اكليريكيين مرشحين للكهنوت ، فكان من الممكن ان يتجاهل بعضهم تعاليم الدين المسيحي الضيقة ، بمقولة انهم يشتغلون بالفلسفة دون غيرها ، وان ليس من شأنهم التوفيق بين الفلسفة والدين ٠ ولقد انشأ هؤلاء الانصار حركة واسعة سموها « الرشدية اللاتينية » بلبلت افكار جامعة باريس ربع قرن ، وقصدوا بها معارضة اراء البرت الاكبر وتلميذه توما الاكويني في جامعة باريس ٠

واشهر هؤلاء الرشديين سيجر دي برابان او سيجر البرابانتي وكان يعلم بكلية الفنون حوالي سنة ١٢٦٥ وضم اليه فريقا من اساتذة الكلية وطلابها وكونوا لانفسهم مذهبا رشديا ، وانتخبوا لهم عميدا ، ولكن زعيم هذه الحركة وهو سيجر حرم من التدريس وطلبه رئيس محكمة التفتيش للمثول بين يديه ٠ ويلوح انه احتكم الى روما او هرب اليها ، اذ الثابت ان محكمة روما حبسته في هذه السنة واصدرت ضده حرمانا كان القضاء المبرم على الرشدية بجامعة باريس ٠

ولقد كان الرهبان الفرنسيون من الفرنشسكان شديدي التعلق بتعاليم ابن رشد الى ان ظهر فيهم الراهب الفرنشسكاني دينيز سكوت سنة ١٣٠٨ م وعارض الفلسفة الرشدية بغير هوادة ٠

وانقسم الرهبان الاوغسطينيون فريقين : منهم من عارض الفلسفة الرشدية كما فعل جيل الروماني ، ومنهم من تعصب لها كما فعل بول الفينيسي ٠

لقد استمر النقل الى اوربا عن الفلسفة الاسلامية الى عصور متأخرة ، واستمر الجحود ايضا . فهذا رينيه ديكارت يقول في القرن السابع عشر بمبدأ الكوجيتو وهو اثبات وجود الذات في اي فعل من افعال الفكر : «انا افكر فانا موجود» : « ولا نستطيع ان نشك دون ان نكون موجودين » ٠ يقول بهذه الاراء وينسبها لنفسه وهي لم تخرج عن انية ابن سينا التي اوردها في كتاب « الشفا » (٢) في اكثر من موضع ، وفي كتاب « التنبيهات والاشارات » (٣) ٠

وليس بعيدا ان يكون ديكارت قد اطلع على اقوال ابن سينا التي ترجمت في العصور الوسطى او قرأها في كتابات جيوم الاوفرني او غيره (٤) ٠

ونحن اذا قرأنا « احصاء العلوم » للفارابي وجدناه في تقسيمه للعلوم يقدم الرياضة المجردة على غيرها لانها واضحة في العقل ، ثم العلوم الطبيعية ، وهي واضحة في الخارج ، ثم العلم الالهي ، وهو الواضح في نفسه ، وان كان يخفى علينا لشدة وضوحه وقصور ذهننا عن ادراكه ٠ هذا التقسيم هو الذي قال به ديكارت وجعله من قواعد منهجه دون ان ينسبه الى صاحبه ٠ فاذا لاحظنا ان احصاء العلوم للفارابي ترجمة جيرار الكرموني في القرن الثاني عشر وانه نشر على يد جيوماس كاميراريوس استاذ الالهيات بجامعة باريس سنة ١٦٣٨ ، وان ديكارت مات سنة ١٦٥٠ لم نتردد في القول بان ديكارت نقل عن الفارابي وجحد مرجعه ٠

اما ان ينقل ديكارت عن فيلسوف مسلم كابن سينا او الفارابي فلم يكن ذلك غريبا ، فالعهد بهذا داء قديم ، ولكن الغريب ان يطلع علينا فيلسوف فرنسي حديث هو ارنست رينان (١٨٢٣ ـ ١٨٩٢) فينكر الفلسفة الاسلامية من اساسها ، فبعد ان جدد العصبية الدينية القديمة في صورة أخرى هي التفرقة بين الجنس الآري الذي ينتمي اليه جماعة الاوربيين والجنس السامي الذي ينتمي اليه جماعة العرب ، قال : ما يكون لنا ان نلتمس عند الجنس السامي دروسا فلسفية ، ومن عجائب القدر ، ان هذا الجنس الذي استطاع ان يطبع ما ابتدعه من الاديان بطابع القوة في اسمى درجاتها ، لم يثمر ادنى بحث فلسفي خاص ، وما كانت الفلسفة قط عند الساميين الا اقتباسا صرفا جديبا ، وتقليدا للفلسفة اليونانية ٠

ويقول ايضا « من الخطأ وسوء الدلالة بالالفاظ على المعاني ان نطلق على فلسفة اليونان المنقولة الى العربية لفظ «فلسفة عربية» مع انه لم يظهر لهذه الفلسفة في شبه جزيرة العرب مبادئ ولا مقدمات ، فكل ما في الامر انها مكتوبة بلغة عربية » (٥) ٠
ويقول « لا يزال حكمي بان مباحث العقائد الدينية لم يكن لها كبير شأن في نشأة هذه الفلسفة العربية ، حكما جازما ، وما صنع العرب شيئا سوى انهم تلقوا جملة المعارف اليونانية في صورتها التي كان العالم كله مسلما بها في القرنين السابع والثامن » (٦) ٠

وهذا الرأي هو عين ما نادى به شموبلدرز الالماني (٧) ٠

واخيرا ينتهي رينان من طعنه بقوله « ان الاسباب التي يعللون بها في العادة ايثار العرب لارسطو ، هي اقرب الى التمويه منها الى الحق فان العرب لم يؤثروا ، اذ لم يكن ثمة اختيار عن روية ، انما تقبل العرب معارف اليونان كما وصلت اليهم » (٨)

دكتور محمد مختار القاضي

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا ص ٥٧٣ ٠
(٢) ص ٢٨١ و ٢٨٢ طبعة طهران ٠
(٣) ص ١١٩ طبعة فورجيه ، ليدن ١٨٩٢ ٠
(٤) عثمان امين في « محاولات فلسفية » ص ١٧٧ ٠
(٥) « التاريخ العام ونظام اللغات السامية » الطبعة السادسة ص ١٠ ٠
(٦) ابن رشد والرشدية ص ١١ ٠
(٧) عرض هذا الرأي ورد عليه الأستاذ «جوستاف دوجاه» في كتابه (تاريخ الفلاسفة واللاهوتيين المسلمين) باريس ١٨٧٨ مقدمة ص ١٥ ٠
(٨) ابن رشد والرشدية ص ٩٣ ٠

دفاع عن الطهطاوى

بقلم محمد جلال كشك

كنا على موعد ، اليوم ، مع الحلقة الثانية من دراستنا عن « الحرية فى الاسلام » حيث نجلو الحقائق التى زيفها كتاب « المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى » للدكتور لويس عوض » ذلك الكتاب الذى هو محاضرات القيت على الطلبة العرب ، بعد ما جمعناهم من المحيط الى الخليج لنقول لهم : « ان فكرة (الحرية) بمعناها السياسى ، والمدنى ، فكرة لا تقاليد لها فى المجتمعات العربية ، او فيما نبع عنها من فلسفات الفلاسفة ، او فقه الفقهاء او ادب الادباء ، بل ان مدلول كلمة (الحرية) فى اللغة العربية ذاتها ، مدلول مختلف عن مدلول كلمة libertas اللاتينية التى خرجت منها كلمة (ليبرتيه) ومشتقاتها من اللغات الاوروبية الحديثة » الى اخر هذا الكلام الذى لم يجرؤ « كرومر » على ان يقوله ، او ان يفرض تعليمه فى مدارسنا ، تحميه البوارج والفرسان .. فاصبحنا بحمد الله ندرسه للطلاب العرب من المحيط الى الخليج .. ونطبعه على نفقة جامعتهم العربية ، ليعود طالب « البحرين » فيثبت لقومه ، ان لغتهم لم تعرف الحرية ، بل ان فكرة الحرية ، لم تخطر ببالهم ، ولا فى ادابهم ، ولا فى فلسفاتهم ... الخ .. حتى جاءهم الاستعمار الاوروبى ، فعلمهم الحرية ! .. يقول صاحب المحاضرات فى « معهد الدراسات العربية » : « الحرية اذن بالمعنى السياسى والاجتماعى الشامل المتضمن فى كلمة libertas نتيجة لاتصال العرب بالحضارة الاوروبية وبالفكر السياسى والاجتماعى الغربى فى القرن التاسع عشر » .

سيعود طالب البحرين الى قومه ، لانها ، معانيا .. واتخيله يحدثهم : « بئس والله ما علمتمونى .. قلتم اننا فقدنا الحرية نتيجة اتصالنا بالحضارة الاوروبية .. حتى ذهبنا الى معهد الجامعة العربية فعلمنا اننا كنا كالسائمة لا نعرف للحرية معنى ولا لفظا .. حتى جاءتنا على البوارج البريطانية » !!

واتخيل اهله يتحسرون – ان صدقوه – على ارواح الشهداء ودماء المناضلين الوطنيين ، التى اريقت هدرا ضد الذين جاءوا يعلمونهم الحرية ! . او احسبهم يتحسرون على ما ضاع من اموالهم ووقتهم فى ارسال ابنائهم لمثل هذا التعليم الفاسد ...

وقد راينا فى الحلقة الماضية ، ان الفرد المسلم ، تتمثل فيه ، اكمل صور الحرية الفردية ، من حرية الفكر والضمير .. وانه مأمور بالتفكير ، مثاب عليه حتى فى حالة الخطأ .. وان الاسلام قد رفع القدسية عن جميع البشر .. فاتاح لكل ذى فكر ان يعلن فكره ، وان ينشر ، ويصـوب خطأ الآخرين مهما تكن صفتهم ومراكزهم .. وعلم الرسول صحابته ان يثوبوا الى الصواب متى تبين ، لا يصدهم عن ذلك ، عزة بالاثم ، او عنجهية جاهلية .. وحض الاسلام على رفض الباطل وتغييره ، وكحد ادنى رفضه ولو بالضمير وحده ! .. واوجب الثورة على السلطة التى تفرض الباطل .

وكان موعدنا اليوم ، لمناقشة الحرية الاسلامية فى الاسرة .. باعتبارها اول اشكال العلاقات الاجتماعية التى يدخلها الفرد .. ولكنى رايت ان اناقش كتاب « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » الذى شوهه هذا المحاضر فى معهد الدراسات العربية ، واستخرج منه انعدام الحرية عند العرب !

والحق اننا قد ابتلينا بالتبشير بين الأحياء .. ولكننا لم نسمع – الا على يديه – بالتبشير بين الأموات ! .. فقد نصب نفسه خلاص ارواح شوامخ امتنا العربية ، وعباقرة الفكر الاسلامى ، فجعل ابن خلدون ناقلا للفكر اليونانى واللاتينى .. والمعرى شماسا لراهب دير الفاروس .. ورفاعة الطهطاوى ، مفتونا بالحضارة الاوروبية ، ناقلا لقيمها ومبادئها ودينها ..

وفى اعتقادى ان سوء فهم « رفاعه الطهطاوى » عند هذا المحاضر ينبعث من التحيز السابق على الدراسة ، ومن الجهل بالتراث العربى ..

ولكن هذا الراى ، لا نلزم به احدا ، قبل ان نقدم الحجة عليه:

ان رفاعه رافع الطهطاوى معنا ، بقلبه وعقله ، بكل حرف كتبه .. انه الشيخ الذى خرج من اعماق الصعيد ، وكل ثقافته علم الأزهر فى اوائل القرن التاسع عشر .. خرج من العالم الاسلامى ، وقد تردى الى قاع التخلف والتاخر والجمود ، بحكم بعده عن روح دينه ، وتخلفه عن التطور العلمى والمادى ، الذى انتقل من العرب الى اوروبا .. انتقل الشيخ الصعيدى الى باريس .. قمة الحضارة الاوروبية المتالقة .. وحسبى هنا ان اشير الى افتتان الشيخ (بعربية الرش) فى باريس كمثال للتخلف الذى كنا نعانيه .. فقد وصف (عربة الرش) فى ستة سطور ليعرف اهله بها ، وتمنى لو ان مصر بها عربة رش ! (١٦٥)

ومع ذلك ، وبالرغم من هذا الانتقال العنيف ، فما من منصف يزعم ان عقيدة الشيخ قد اهتزت ، او ان ذلك قد دفعه الى الكفر بتراث امته ، او التنكر لجزئية واحدة من قيم حضارته وتراثه .. بل اتخذ نفس موقفنا اليوم .. وهو الاعتراف بالتفوق المادى الساحق ، الذى حققته اوروبا ، مع ايمان لا يتزعزع بتفوق قيمنا ، وشموخ تراثنا ، يقين بان حضارتنا التى تمتلك هذه القيم الاعز والأفضل ، جديرة ، اذا ما اكتسبت علم اوروبا ، ان تتفوق عليها ، بل ان تقدم للبشرية صفحة اشرف واعظم ..

لم يشك رفاعة لحظة واحدة فى تفوقنا العقائدى على العقل الاوروبى .. ولم يتعام ايضا عن تفوقهم العلمى والمادى . .

« البلاد الافرنجية قد بلغت اقصى مراتب البراعة فى العلوم الرياضية ، والطبيعية ، وما وراء الطبيعة اصولها وفروعها .. غير انهم لم يهتدوا الى الطريق المستقيم ، ولم يسلكوا سبيل النجاة ، ولم يرشدوا الى الدين الحق ، ومنهج الصدق » . (٦١)

وهو معتز باسلامه فخور به .. عندما يرتب القارات يضع آسيا فى المقدمة ، لأن « الاسلام قد تولد فيها وانتشر » (٧٦) وهو يتحسر لأن الاستعماريين يحولون اهل افريقيا الى دينهم ويدعو « للاسلام بالانتشار فيها » .

وهو عربى فخور بعروبته ، لأن العرب هم : « افضل القبائل على الاطلاق ، ولسانهم افصح الالسن باتفاق » . ومع رفضه تعصب التخلف ، واقراره بمزايا اللغات الاجنبية ، يبادر فيعلن ان « لسان العرب هو اعظم اللغات وابهج » .

وشيخنا يقرر ان « العلوم الادبية الفرنساوية لا بأس بها » ولكنه ينتقد كون « لغتها واشعارها مبنية على عادة جاهلية اليونان وتآليهم ما يستحسنونه » (١٣٥) .

لكأن الشيخ يعيش محنتنا ، ويعانى من اولئك الذين لم يكتفوا بعبادة جاهلية اليونان ، بل دسوها فى صحفنا ، وراحوا يتلمسونها فى كل ما سطرته امتنا ! ..

وحادم الشيخ يستعيذ من وحشية الفرنسيس ، ويحمد الله بعد زيارة لسلطانة باريس .. يحمد الله انه ليس لورا فى بلاد الفرنسيس !

الشيخ اذن مسلم ، معتز باسلامه ، وهو ان شهد لاوروبا بالتفوق والتقدم ، فانما يتمنى لوطنه ذلك .. لأن التقدم اولى به .. فهو الذى يقول : « فى هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية ، والفنون والعدل العجيب ، والانصاف الغريب ، الذى يحق ان يكون من باب اولى فى ديار الاسلام وبلاد شريعة النبى صلى الله عليه وسلم » (٨٢) .

صدقت يا شيخنا .. وكذب الآخر !.

وشيخنا يحب مصر العربية الاسلامية ، مؤمن بها وبامكانياتها ، فلو تعهدت مصر وتوفرت فيها ادوات العمران ، لكانت سلطان المدن ورئيسة بلاد الدنيا » (١١٤) .. ومع اعجابه ، بل افتتانه بباريس ، واعترافه بتخلف مصر التى تمنى لها « عروبة الرشد » .. فهو لا يتردد فى طلاق باريس :

لئن طلقت باريسا ثلاثا   فما هذا لغير وصال مصر
فكل منهما عندى عروس   ولكن مصر ليست بنت كفر !

لذلك عاد شيخنا لاحضان بنت العروبة والاسلام ، ولم يبع روحه خلف شجرة ، او فى خلوة مشهودة او غير مشهودة !

وفرق بين من يرى مدينة اوروبا ، فشمت فينا ، ويعيرنا بها ، ويزيف من النظريات ما يثبت به ان التخلف محكوم علينا ، وان الدنية غريبة عن روحنا .. ويستقل علمه (المشكوك فيه) فى الانتقاص من حضارتنا ، والتقول عليها .. وتاخذه النشوة بتفوق اوروبا على اهله ! .. كالعبد يفرح بثروة سيده وجبروته ! ..

فرق بين هذا وبين شيخنا الذى يرى قوة اوروبا فيتحسر على وطنه الذى يرزح تحت نير التخلف ، ويستخدم معرفته فى حث بلاده على التعلم .. فيقول شيخنا : « وانطلقتها بحث ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع ، فان كمال ذلك ببلاد الافرنج امر ثابت شائع ، والحق احق ان يتبع ، ولعمر الله انى ، مدة اقامتى بهذه البلاد ، فى حسرة على تمتعها بذلك وخلو ممالك الاسلام منه » (٥٧) .

واذا كان الاول يريد النيل من تراثنا ووجودنا الحضارى ، فان شيخنا يحدد هدفه من الكتابة ، ان يوقظ به من نوم الغفلة سائر امم الاسلام من عرب وعجم « انه سميع مجيب ، وقاصده لا يخيب » .

لذلك نرى الحاضر فى معهد الدراسات العربية ، يحرص على ان ينزع كل اصالة فى الفكر العربى ، بل ينسبه الى رهبان الاديرة ، وصعاليك الفكر الغربى كحديثه عن ارزاموس الشهير ! .. الذى تعلم منه رفاعة الطهطاوى ان حب الدنيا لا يتنافى مع الدين ! كأن شيخنا بحاجة الى كتاب « دليل الجندى المسيحى » ليعرف ان الدنيا لا تتعارض مع الدين .. وان المال لا دنس فيه .. ولم يقف فى الشيخ طوال تردده على المساجد وسماعه للفقهاء يقراون عبر ١٣ قرنا « ولا تنس نصيبك من الدنيا » .. « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .. كأن شيخنا بحاجة الى سى ارزاموس ليعلمه ذلك ..

اللهم صبرا على ما بليتنا ! ..

ولكن شيخنا يحرص ، عندما يسجل تفوق العلم الاوروبى ، على ان يعود الى تراث اجداده فيأتى بامثلة مشابهة لتفوقنا ، فهو يستدل من سعة معرفة « البارون سلوسترى دساسى » على صحة ما جاء فى الاثر عن معرفة « الفارابى » الذى يسميه فيلسوف الاسلام ، ويعقد المقارنات بين تقدم باريس والنهضة العلمية بها ، وبين تقدم بغداد فى عصر الرشيد والمأمون ، ولا يرجع تفوق اوروبا الى اشتقاق (ليبرتيه) من الاصل اللاتينى .. بل هو هنا اكثر علمية وموضوعية من الحاضر اياه ! ..

لانه يرجع ذلك الى « براعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعرفتهم فى الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها » .

وهو فى اعجابه بالفرنسيس يرى انهم يشبهون العرب فى حسن الخصال ، وان تكن الصفات الحميدة فى العرب قد « تلاشت فيهم ، واضمحلت ، فانما هو لكونهم قاسوا مشاق الظلم ونكبات الدهر ، واحوجهم الحال الى التذلل والسؤال ، ومع ذلك فقد بقى منهم من هو على اصل الفطرة العربية » .. واما الحرية التى يتطلبها الافرنج دائما فكانت ايضا من طباع العرب فى قديم الزمان ، كما تنطق به المفاخرة التى وقعت بين « النعمان بن المنذر » ملك العرب و « كسرى » ملك الفرس » (٣٠٦) .

ويخيل الى اننا عند الجبرتى ، وبالذات عند الطهطاوى واجهنا سؤالا مصريا هو الموقف من العلم الاوروبى .. لعل ازيده وضوحا بتمثيله بالصناعة .. عندما سجل « كرومر » شامتا ، اختفاء ورش المصريين بعد الاحتلال ، حيث حلت محلها المقاهى ، ودكاكين بيع المصنوعات الاوروبية .. وغبطة كرومر هى مفتاح فهم القضية .. عملاء اوروبا وفلاسفتها ، كانوا يريدوننا على ان نكتفى

باستيراد بضائعهم ، وفتح الدكاكين لبيعها ، والجلوس على المقاهي لسماع انباء انتصارات اوروبا ، والتسلي بها .. ونعيش كالمتحضرين .. اما ابناء العروبة ، فكانوا يريدون الاستفادة من التقدم الصناعي في اوروبا لبناء صناعتنا العربية ، وبدلا من استيراد البضائع لنملأ بها الدكاكين ، كانوا يريدون استيراد الماكينات لبناء المصانع .. استيراد المعرفة الصناعية ، لننتج بضائعنا العربية التي تزاحم بضاعة اوروبا وتزيد الرخاء الجنس البشرى .. وعملاء اوروبا هم الذين قالوا لا امل في قيام صناعة في مصر لانها بلد زراعي .. وعملاء اوروبا هم الذين قالوا لا جدوى من محاولة قطع الشوط الذى قطعته اوروبا .. ولا سبيل لنقل التكنولوجيا وحدها .. لابد من اولئك الاغريق وفلسفة ودين اوروبا « فوق البيعة » .. هم الذين افتوا ان الشرق غير مبدع ولا مبتكر ! ..

وكان شيخنا من الذين آمنوا بجذورهم ، والذين ارادوا ان نتعلم حضارة أوروبا لنبنى حضارتنا نحن ..

وقد سافر الشيخ الى باريس ، بخلق المسلم المتسامح ، ذلك الخلق الذى مكننا من ان نعطى الدنيا امجد ايامها ، والذى تسبب ايضا في هزيمتنا امام الحضارة الباغية القاتلة التى لا تعترف بضمير ولا خلق . تامل الفرق بين الشيخ الصعيدى ، ابن الشرق المتخلف ، وبين المستشرق الذى الم بعلم العرب وتراث الشرق .. والذى يعجب شيخنا بعلمه .. وهو « مسيو دساسى » .

الشيخ يكتب عن فرنسا بلا تعصب ولا تحيز ، بل يشهد لهم بكفالة الحرية الدينية في بلادهم (٧٩) ولكنه يسجل بعض انتقاداته ، فياتى مسيو دساسى « هذا فيصفها بانها « اوهام اسلامية » ! .. ويعترض على ملاحظة الشيخ بان الفرنسيس غير متدينين .. اى علمانيين بلغة العصر .. ولكن الاوروبى المتمدين ينفى هذه التهمة عن شعب فرنسا ! . ويعلن الشيخ بكل تواضع ان « دساسى » يقول ذلك لانه متدين ..

وحكاية اخرى يرويها الشيخ تكشف اى تعصب كانت تعيشه اوروبا .. « وقد اتفق ذات يوم وانا مار في طريق في باريس ان سكران صاح قائلا : يا تركى ، يا تركى (المسلم في اوروبا هو التركى) وقبض بثيابى ، وكنت قريبا من دكان يباع فيه السكر ونحوه فدخلت معه ، واجلسته على كرسى ، وقلت لرب الحانوت على سبيل المزح : هل تريد ان تعطينى بثمن هذا الرجل سكرا او نقلا ، (ولكن الصديق لا يفهم المزاح بل يرد في كل تعصب الغرب) : « ليس هنا مثل بلادكم ، يجوز التصرف في النوع الانسانى ! » (١٦٣) .

وفى الكتاب حكاية ، لا استطيع ان اغفلها ، وهى تكشف عن عظمة امتنا وايضا الدور الخسيس الذى كان يلعبه المستشرقون .. انها حكاية المراة المصرية بنت رشيد ، التى تزوجها « مينو » قائد جيش الاحتلال الفرنسى ، وبعزة اسلامها يضطر قائد جيش الاحتلال الى اعلان اسلامه حتى يتزوج بنت رشيد الحتلة .. وفى فرنسا ، يقول رفاعة : « رجع الى النصرانية وابدل العمامة (بالبرنيطة) ومكث مع زوجته ، وهى على دينها مدة ايام فلما ولدت ، واراد زوجها ان يعمد ولده على عادة النصارى ليتنصره ابت زوجته ذلك ، وقالت لا انصر ولدى اصلا » .

وحدها .. بنت رشيد .. في باريس القرن التاسع عشر ، وزوجة جنرال في جيش نابليون قاهر اوروبا .. وحدها بلا اهل ولا سند ، بينها وبينهم البحر .. وعداوة وحربا لا ينقضيان .. وتصر على دينها .. واصر ابن الثورة الفرنسية على تنصير ابنه .. ثم يحتال على المراة فيستدعى لها « البارون دساسى » ، « فانه هو الذى يعرف ويقرأ القرآن وقال لها سليه عن ذلك فسالته ، فاجابها بقوله : انه يوجد في القرآن قوله تعالى « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فحاجها بذلك ! » .

واهتزت قيم المسكينة امام هذا الزيف الخبيث .. فلم تفلح بعدها ..

واخر خطفه الفرنسيون صغيرا ، فنسى العربية ، الا اسمه ، ولا يعرف من الاسلام الا الشهادتين ، وهو مصر على اسلامه ..

وقد استوقفتنى ملحوظة الشيخ عن « جومار » الذى كان يشرف على البعثة عندما قال و بشهرة معارف « مسيو جومار » وحسن تدبيره يوقع في نفس الانسان من اول وهلة تفضيل القلم على السيف ، لانه يدبر بقلمه ما لا يدبر غيره بسيفه الف مرة ، ولا عجب ، فبالاقلام تساس الاقاليم » (٨١) . فهل ياترى كان شيخنا يشير الى نشاطه الاستعمارى التبشيرى ، ام الى جهوده في المخابرات الفرنسية ؟ .. ما الذى كان يحركه جومار بقلمه ؟ .. ياليت اللجنة الفاضلة التى طبعت الكتاب قد اجابتنا عليه بدلا من اهتمامها العجيب بنفى عودة « عبد العال » اغا الانكشارية الى الاسلام !

وبينما يصفق « الخاطر » بجناحيه فرحا بمحاكمة « سليمان الحلبى » يتحسر شيخنا الوطنى عليه « ويوجد بهذا الرواق شئ من جثة المرحوم الشيخ سليمان الحلبى الذى استشهد بقتله للجنرال الفرنساوى « كليبر » وقتل الفرنساوية له في ايام تغلبهم على مصر ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » (٣١٢)

ويسجل فرحته بعودة مصر الى الاسلام (تركيا) بينما اسف المعلم يعقوب ، وورثته على زوال الاحتلال الفرنسى .. من اجل ذلك عاش رفاعة في قلوبنا وتحلل الآخر في برميل الخمر الذى وضعوه فيه عندما نفق على ظهر السفينة التى اقلته هاربا من وطنه .

وشيخنا في صف الترك ضد « الموسقوبية » ، والقلق باله هذه الحرب الى حد ان يرى في المنام رؤيا تبشره بانتصار السلطان . وعندما حذفها عند الطبع لم يكن للسبب المضحك الذى وصلت اليه اللجنة التى اشرفت على طبع الكتاب وتقليطه (ولا اقول تصحيحه ، فقد احصت هى في ملحق بالكتاب ٢٣٥ غلطة !) .. لو ان اللجنة توقفت عند تاريخ طبع الكتاب وهو ١٨٣٤ .. لعرفت انه في هذه السنة كانت الحرب في عنفوانها بين الباشا محمد على وسلطان تركيا .. افكان رفاعة يطبع كتابا في القاهرة به رؤيا تبشر بانتصار السلطان ؟! .. فمن الساذج يا ترى .. رفاعة .. ام اللجنة ؟! ..

ونحن بالطبع سنعود لكتاب شيخنا فى مناقشتنا للمعاصر فى معهد الدراسات .. ولكنى احب هنا ان امر على بعض النقاط التى تكشف شقشقة هذا المتعالم ..

شيخنا يقدم للدستور الفرنسى بقوله : « لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد » .

ويقفز المعاصر فى الهواء عدة قفزات ثم يصيح بان « خطورة هذا الكلام من انه فى بلاد كانت تتبع الخليفة العثمانى ، وبالتالى تخضع رسميا للحكم الثيوقراطى ، اى الحكومة الدينية المؤسسة فيها القوانين على احكام الشريعة ، يعد هذا اول دعوة فكرية صريحة الى فصل الدين عن الدولة » ..

اما الذين يقفون على ارجلهم ، ويفكرون بعضو التفكير وهو الراس فلا يصلون الى ما وصل اليه سيادته ، بل يرون ان رفاعة يتحسر على وصول هؤلاء بعقولهم الى العدل والانصاف ونحن الذين لدينا كتاب الله وسنة رسوله .. بل ان الوثائق لا تحوجنا الى اجتهاد ، فاصل عبارة الشيخ فى المسودات كما اثبتتها اللجنة هى « فتذكره لك .. لتعرف كيف قد حكمت عقول الكفرة بان العدل والانصاف .. الخ » .. المعنى واضح .. عقول الكفرة وصلت الى ذلك .. فلماذا لا تصل عقول المؤمنين .. ولكنه عند الطبع حذف كلمة الكفرة ..

ومرة اخرى يصيح هذا الشرلتان (باذن استاذنا محمود شاكر) قائلا : « ان ايجاد رفاعة الطهطاوى سندا فى الشريعة الاسلامية لنظام الملكية المقيدة وسندا فيها للنظام الجمهورى ، كان قفزة ضخمة من الفكر السياسى والاجتماعى المصرى ، فتحت باب الاجتهاد لكل من تلاه من المفكرين والمصلحين .. » ربما تعدله نفسه انه منهم !!

الا يدرى هذا المتفاصح ان النبى يحذر صحبه من انها ستصبح بعده ملكا عضوضا ؟!.. اذن فماذا هى قبل ان تصبح ملكا عضوضا ؟!.. الا يعلم ان عمر يسال سلمان ، رضى الله عنهما ، املك انا ام خليفة ، فيقول له سلمان : « ان انت جبيت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ، ثم وضعته فى غير حقه ، فانت ملك غير خليفة » (الطبرى ج ٤ ص ٢١١) .

لقد كانت الملكية الوراثية المطلقة هى التى بحاجة الى من يكتشف لها سندا .. ولم تجد .. وحتى فى ظل الحكم العثمانى كانت اكثر قلقا فى نفوس المسلمين ، من استقرار مبدا وراثة العرش فى نفوس الفرنسيين مدة كتابة رفاعة لكتابه هذا .. ومنذ بيعة معاوية لابنه يزيد الى خلع اخر سلاطين بنى عثمان .. كان الخلفاء ياخذون البيعة لولى عهدهم ، وكثيرا ما كانت تنتقل هذه الولاية .. وكانت بيعة ولى العهد اشبه ما تكون ولو من الناحية الشكلية دون المضمون طبعا ، بانتخاب نائب رئيس الجمهورية .. ولو ان اضطرار الخلفاء الى هذا الاجراء الشكلى يؤكد ان الملكية الوراثية بعيدة عن روح الاسلام ، وبحاجة الى تغطية ... ولو شكلية ..

ابتعد يا هذا عن باب الاجتهاد .. لكى لا يحسبك الناس متلصصا ..

واسخف من هذا تعليقه على شرح رفاعة الفرق بين ملك فرنسا وملك الفرنسيس ، وقد شرح رفاعة الامر ثم علق عليه بقوله : « ولو كانت عندنا لاستوت العبارتان » فان كون الملك ملكا باختيار رعيته له لاينافى كون هذا صدر من الله تعالى على سبيل التفضل والاحسان ، ولكن المعاصر يعلق : « ولعل هذا ابلغ درس يمكن ان يقدم للمصريين عن نظرية الحق الالهى والحق الطبيعى فى الفلسفة السياسية والاجتماعية » .

واى مستشرق يعرف ان هذه القضية لا وجود لها عندنا .. فالخليفة اسمه امير المؤمنين ، وهو خليفة رسول الله .. وعن جابر قال ، قال رجل لعمر بن الخطاب : يا خليفة الله ، فقال عمر : خالف الله بك ، فقال « جعلنى الله فداك ! قال : اذا يهينك الله » .

الحق الالهى لم يعرف قط فى تاريخنا فلا تحملنا اوزار القوم الاخرين .. وكان رفاعة رائعا فى ايجازه عندما بين انه لا تناقض بين انتخاب الحاكم وكون هذا الانتخاب يتم بارادته تعالى ، مادام عزله ايضا يتم بارادته تعالى .

ويرتدى الشرلتان مسوح العلماء ويدرس لرفاعة الطهطاوى رضوان الله عليه .. فيقول : « ولم يجد الطهطاوى ما يقرب به مفهوم الحرية السياسى والاجتماعى لافهام معاصريه الا ان يقول انها مرادفة للعدل والمساواة امام القانون وهو تفسير خاطئ (كذا) من الناحية الفقهية والفلسفية ، لان العدل والمساواة قد يكونان نتيجة من نتائج الحرية ، والحرية قد تكون نتيجة من نتائج العدل والمساواة ، ولكن لا تطابق بين المبداين ، لان الحرية قد لا تقترن بالعدل والعدل قد يتحقق بغير الحرية » .

لا .. رفاعة افصح منك واعلم بقيم بلاده وتراثها .. لان للعدل والانصاف عندنا مفهوما غير مفهومهما فى اوروبا .. وعبارة الطهطاوى هى : « وما يسمونه الحرية ويرغبون فيه هو عين ما يطلق عليه عندنا العدل والانصاف ، وذلك لان معنى الحكم بالحرية هو اقامة التساوى فى الاحكام والقوانين ، بحيث لا يجور الحاكم على انسان » .

والاصل فى المجتمع الاسلامى هو الحرية الكاملة ، بكفالة حرية الفكر ، والحرية الشخصية ، والحرية السياسية والاجتماعية .. الخ . وبالتالى فان انعدام هذه الحرية ينجم من فقدان العدل وضياع الانصاف ، من الاخلال بقوانين المجتمع الاسلامى ..

وليس فى حضارتنا هذه التفرقة بين العدل والحرية .. والعدالة عندنا ليست عمياء .. فلا سبيل لسخف مثل الذى يقوله وهو « تحقق العدل بغير حرية .. والحرية قد لا تقترن بالعدل » .. كيف يكون هذا كلام عقلاء ؟!..

والقانون عندنا ليس حمارا .. لانه ليس فى شريعتنا تشريع يامر بالتفرقة او التمييز ، او يختص فئة بامتيازات سياسية او اجتماعية ، او يقر تمييزا عنصريا او طبقيا .. ومن ثم يصبح تطبيق هذه التفرقة التى ينص عليها القانون عدلا .. وان تنافت مع الحرية !.. لا .. هذا الازدواج الشيطانى ، من اختراع الحضارة الغربية وحدها التى ارادت ان تبرر فحش جرائمها ضد شعوبها ، ثم ضد الشعوب غير البيضاء .. حتى لا يتالم ضمير السيد الانجليزى وهو ينزل بشعوب المستعمرات ابشع الوان التنكيل ، بحجة انه ينفذ القوانين .. فاخترعت له التفرقة بين العدل والحرية !.. حضارتنا لم تعرف هذا النفاق ، وهذا الازدواج فى الضمير .. ومن هنا لا تفرق حضارتنا بين العدل والحرية : بين المساواة والانصاف .. لان تطبيق الشريعة يكفل مجتمع الاحرار ويعطى كل ذى حق حقه ...

وسنعود لهذا الحديث ..

« محمد جلال كشك »

كلمة في إثر كلمات

بقلم : عامر العقاد

طالعتنا الرسالة منذ ايام بمقالين عن كتاب « اخر كلمات العقاد » ياخذ فيه كاتبه علينا اننا لم نراجع كلمات العقاد او لم ننقحها قبل نشرها لازالة مافيها من اخطاء . ولسنا نرى وجها لهذه النصيحة او هذا المأخذ لأن كلمات العقاد براء من ذلك الخطا المزعوم ، ولكن براءتها تتطلب قارئا منصفا . واحسب ان السيد الكاتب تجنب الانصاف او خانه الفهم في جميع ملاحظاته . ولنبدأ :

يريد الأستاذ عباس ان يصطاد – تناقضا بين عبارتي العقاد في الحسد ، ولكن ارادته هذه لا تعدو مجرد الوهم .

فالعقاد ليس ممن يقعون في التناقض بسهولة ، وانما فهمه دون كتاب عصره على حقيقته يحتاج الى ذهن اخر غير ذهنك . ولنتامل العبارتين :

يقول العقاد : « قد يحسدك الحاسد ليصبح نظيرك . وهو الام الحاسدين » .

ثم يقول : « ليس الحاسد هو الذى يطمع ان يساويك بان يرقى اليك . بل هو الذى يريد ان تساويه بان تنزل اليه . ومن هذا القبيل الرجل العياب الذى يتتبع عورات الناس وسقطاتهم لينزل بهم الى مستواه ويتغافل عن حسناتهم عمدا لانه يعلم من نفسه العجز عن الاتيان بمثلها » .

قرا الاستاذ عباس الاسوانى العبارتين ثم بحث فى ذهنه عن تعريف للحسد يقول انه تمنى زوال النعمة عن المحسود ثم حطه امامه وذهب يستنبط من كلمات العقاد تعريفا ينافى تعريفه فوجد عبارة تتفق معه والعبارة الاخرى تختلف معه فحكم – عفا الله عنه – بتناقض العقاد .

والحق انه لا تناقض هناك اذا عرفنا كيف نفهم حقيقة الكلمات التى نطالعها ..

فمما لا جدال فيه ان هناك فرقا كبيرا بين الطمع فى الرقى الذى مبعثه الحسد ، والطمع فى الرقى الذى مبعثه الطموح .

الطمع الأول مشوب بالاحنة والمقت والحقد على المحسود .

والطمع الثانى مشـــوب بالغبطة والرضى والتطلع الى الرقى بامتنان للمحسود .

فالفرق اذن هو فرق فى الحالة النفسية التى تعترى الحاسد فى كلتا الحالتين .

ونقدم للقارىء مثلا اخر بطريقة فهم ناقدنا الاسوانى . فقد – وفقه الله – ليقتطع من هذه الابدة او الحكمة بعض الكلمات وفهمها على وجه لا يتناسب مع السياق .

يقول العقاد : « ماذا يقول الناصح العاقل للمنصوح الغوى الذى يقول له : اتنصحنى وتزعم انك عاقل ؟ لو كنت ذا عقل لما اسديت الخير لمن لا يريده ، ولما نصحت من لا يستمع الى نصحك ، ومن لو استمع اليه شق عليه ان يشكره وود لو ينكر نفعه !

الحق ان الناصح قد يعقل فى كل شىء الا فى اسدائه النصيحة وانما هو يسديها لما عنده من الرحمة وحب الخير ، لا لما عنده من العقل والحكمة » .

فالخطاب فى هذه الابدة متوجه الى المنصوح الغوى الذى لايقبل النصح ولا يشكر على النصح ان قبله بل يود لو ينكره ، فتوجيه النصيحة لهذا الناصح اذن ليس من العقل فى شىء ، ولكن مع هذا فالنصح مطلوب لان باعثه ليس تفكيرا يحكمه المنطق ، وانما باعثه كما يقول العقاد الرحمة وحب الخير ، فالناصح ذو وجدان خير ينبعث منه الخير حتى لو قال العقل لا .

هذا هو المعنى الذى كان ينبغى ان يدور فى ذهن ناقدنا لو اراد ان يفهم ولكنه – يتعجل الفهم فيستنبط من كلمة العقاد حكما بفقدان الناصح للعقل لا تحمله الكلمات على الاطلاق .

وفى ضوء هذا المعنى يستطيع القارىء ان يعود الى العبارة الاخيرة الواردة فى صفحة (٣١) فيقرؤها واصلا بينها وبين هذه الابدة فحتما سيجد المعنى متصل السياق .

وننتقل الى انتقاد اخر فنجده يسال نفسه سؤالا هو ما هى الحكمة ؟ ويجيب عليه السيد الاسوانى بانها « حكم مطلق ، وحقيقة يؤمن بها الكافة ويتناقلها جميع الناس » ولكن جوابه هذا يلزمه هو ولا يلزم احدا غيره . فالحكمة كما نتصورها من

كلمات العقاد هي حقيقة معبرة عن تجربة عميقة في حياة الفرد او حياة الأمة وهي بذلك تجد جمهورها سواء قل أو كثر ولكن عمقها لا يعني انها ـ تلزم جميع الناس في جميع الاقطار . فما يقبله الصيني لا يقبله الاوربي وما يقبله المسيحي لا يقبله المسلم ومع ذلك فللصيني حكمته ، وللاوربي حكمته وللمسلم حكمتـه وللمسيحي حكمته .

اما انهم في فرنسا كانوا يجتمعون في صالونات لينشروا على النـاس ما تجود به القرائح من حكم بعد التقـويم والتهذيب والمراجعة والتنقيح فامر لا يلزم غير اولئك الفرنسيين بل لايلزم من الفرنسيين انفسهم الا اولئك الذين كانوا يترددون على صالون « مدام سابليه » ام انك تريد ـ ان تتوقف قرائح الافراد في الشرق والغرب فلا تهتدي الى حكمة الا اذا كانت وليدة اجتماع او مؤتمر او كانت بعد تقويم وتهذيب ومراجعة وتنقيح ؟

ثم ينتقل الى مسالة الثناء فيقول ما قاله ونحن بدورنا نقول له :

اجل اصحاب الطبائع السوية لا يستشعرون حرجا ولا ارغاما في هذا الثناء ، ولو لم يتعجل السيد الناقد لما حمل حكم العقاد هذه النتيجة الغريبة .

فالعقاد يقول : « صاحب الفضل المشكوك فيه اقرب الى ثناء الناس من صاحب الفضل الثابت » فالجملة لا تعني ان البشر مسخوا فلا مكان بينهم لطبيعة سوية ، ولكنها تعني ان اسوياء الخلق من الناس الذين يرتقون بنفوسهم على الصغائر ويعرفون لصاحب الفضل فضله قلة ، وهم كذلك بلا ريب .

فالجملة تقول ان الناس « اقرب » الى الاعتراف لصاحب الفضل المشكوك فيه ولم تقل انهم لا يعترفون مطلقا لصاحب هـذا الفضل ، ثم يسوق العقاد التعليل النفسي الذي يفسر به تلك الطبائع او النفسيات المريضة على حـد قول الناقد فينفذ الى بواطنها نفوذا عرف به العقاد في كل ما يتعلق بالمسائل النفسية في كتاباته على اطلاقها .

وكان يحسن بالسيد الناقد وقد تصدى لاديبنا الكبير ان يعد نفسه اعدادا كافيا قبل ان يتصدى لامثال العقاد ولكننا نلاحظ انه يهمل منطقه ويهمل منطق اللغة . ومن المسلم ان للغة منطقها الخاص الذي قد يتعارض ظاهريا مع المنطق العام ، ولكن ابناء اللغة وادباءها المبدعين فيها لا يحسون بهذا التعارض لانهم يعرفون حدود المنطق العام وحدود المنطق اللغوي الخاص . فمن المعروف ان اللغة تجيز استعمال الالفاظ ذات الدلالة العامة لتدل على الجزء . ومن هذا القبيل استعمال العقاد لكلمة « جميع » اذ يقول : « الرجل الذي يحبه جميع الناس لا يحب جميـع الناس » .

فقراء العربية يفهمون من هذه الجملة ان الرجل قد تعظـم صفاته حتى يحبه « فريق » كبير من الناس في مكان بعينه وزمان بعينه ، وقد يتسع المكان ويتسع الزمان ولكنهما مهما اتسـعا فلا يعقل ان يشملا البشر جميعا منذ وجد الانسان على ظهـر الأرض لأنه كما يقول « بلديننا الناقد » « لم يخلق بعـد هذا الانسـان الذي يجمع على حبه الناس » .

لقد كان ناقدنا على قيد خطوة من ادراك المعنى لو انه افترض ما يدفع الاستحالة الى افتراض شيء يدفعها قبل ان يقررها على هذا النحو المتعجل وما كان الامر ببعيد عليه لو ان لديه الذوق اللغـوي الذي يفترض وجـوده في عامة الناس ناهيك بالادباء والنقاد ، وافتقاره الى هـذا الذوق هو الذي نأى به عن ادراك المعنى الصحيح لكلمة العقاد ، فالعقاد لا يريد أن يقول ان العظيم او النبي « لا يحب الناس » كما استنتج السيد الناقد ولكنه يقول ليس من اللازم ان يحب العظيم او النبي جميـع الناس بل من المؤكد ان مقاييس العظيم او النبي في الحب لابد ان تنأى بهما عن حب الجميـع الى حب فريق يتلاءم مع تلك المقاييس بينما نجد ان كثيرا من الناس يجتمعون في حب العظيم لانهم يجدون فيه مثالا يحقق اقصى ما تصل اليه مقاييسهم .

ثم ننتقل الى مثال اخر يوضح للقارئ ان ناقدنا الأسواني يفهم كلمات العقاد « على كيفه » يقول العقاد « الموت اعم المصايب وقوعا ولا يزال اشدها ايلاما واقلها قبولا للعزاء .... الخ » .

ويعلق السيد الاسواني قائلا : هـذه النتيجة لا يمكن ان تستفاد من الموت وحده ، وهل قال العقاد انها لا تستفاد من غير الموت ؟ وهل استنتاجها من الموت ينفي امكان استنتاجها من مصيبة اخرى ؟

سؤالان لم يدورا بذهن السيد الناقد لان ما يعنيـه هو ان ينتقد لا ان يتفهم . ويواصل انتقاده قائلا « اما كون الموت اشد المصائب ايلاما واقلها قبولا للعزاء فاعتقادنا ان مرجعه ليس انانية الانسان وجزعه لمصابه ، وانما علته ان الموت ينتزع الحياة وهي اغلى ما وهبه الله .. » افادك الله . ولكن المهم ان العبـارة لاتبحث في مرجع ايلام الموت او علته وانما هي تقرر امرين : الف الموت لشيوعه وعمومه وشدة ايلامه مع شيوعه وعمومه ، واجتماع الامرين يثير ملاحظة الشاعر : كيف يكون هذا الشائع المالوف شديد الايلام قليل القبول للعزاء .

والجواب الذي لا جواب غيره هو « ان الانسان لا يجزع لمصاب غيره كما يجزع لمصاب نفسه » لانه لو كان يجزع لما يحل بغيره لكان الموت دائما امرا غريبا شاذا ، ولكن الواقع ان غرابتـه وشذوذه يحس بهما الانسان عندما يكون المصاب مصابه اكثر من احساسه بهما لو كان المصاب مصاب غيره .

ويقول العقاد : « الحاكم القدير هو الذي يتقبل المشاركة في اوامره ولا يتقبل المشاركة في تبعاته وتكاليفه » .

فهذا الحاكم لا وجود له في رأي السيد الاسواني لماذا ؟ لان الحاكم القدير اما ان يكون مستبدا لا يقبل المشاركة في الأمر واما ان يكون عادلا يشرك الناس في تبعات الحكم وتكاليفه وما بعد « اما واما » لا علاقة له بالحقيقة التي يجلوها العقاد اذ يقرر ان قدرة الحاكم تتمثل في تقبله المشاركة في الاوامر او المشاركة في الحكم ـ وهذه هي علامة الديمقراطية ـ وفي ابائه المشاركة فيما يترتب على الامر او الحكم من تبعات وتكاليف . ومن هنـا يظهر معنى القدرة . فالحاكم القدير لا يستبد لان قدرته تكفل

له تحقيق ما يريد بغير الاستبداد ، وهو لا يلقى على غيره مسئوليته هو ، لان قدرته تكفل له ان يتحمل المسئولية كاملة .

وفي كلمة اخرى يقول العقاد : « الكرم قوة ... لانه علامة استغناء الرجل عن الناس بقدر احتياجهم اليه كما أن بذل المال علامة القدرة على اكتسابه في كل آن . »

هذه الكلمة في رأى السيد الناقد ليست دقيقة لانه لا علاقة للكرم بحاجة الآخرين فالانسان قد يكرم من هو اغنى منه والكريم الحق يبذل دون أن يفكر في احتمال كسب المال الذى بذله ، والكلمة - في رأينا دقيقة كل الدقة - لان من يعطى يبدو دائما - ما دام معطيا - مستغنيا عن العطاء قادرا على الكسب حتى لو كان في الواقع محتاجا للعطاء عاجزا عن الكسب . وفرق كبير بين القول بان بذل المال علامة القدرة على اكتسابه ، والقول بان الكريم لا يفكر في احتمال كسب المال المبذول .

وبنفس المنطق المتعسف يناقش السيد الاسوانى كلمة اخرى تقول « من معاذير البخيل لنفسه اذا هم بشراء شيء يؤكل او يلبس ثم لم يجده ان يخاطبها قائلا « ارضى انك اكلته ... ارضى انك لبسته .. ثم يرد المال الى موضعه . »

يقول بلدينا الناقد ، ليس هكذا البخيل الحق فمن هو فتح الله عليك ؟ هو الذى لا يتخيل ولا يفترض ولا يعانى اى صراع ولا تتحسر نفسه على طعام ولا شراب . وفي رأينا ان هذا التعريف يصدق على الحيوان البخيل لو امكن ان يوجد البخل في مملكة الحيوان ، اما الانسان فهو شيء آخر بخيلا كان او كريما يتخيل ويفترض ويعانى ويهفو الى الطيبات .

ويتضح الافتقار الى الذوق اللغوى بجلاء في اعتراض آخر يسوقه السيد الاسوانى على كلمة العقاد « الذين قالوا ان الانسان يطلب السرور لم يقولوا شيئا لان سرور انسان حزن لآخرين ، واذا قلت لى عن احد انه يطلب السرور لم تعرفنى به ، ويبقى ان تقول : انه يسر بكذا ويحزن لكيت وكيت فهذا هو التعريف » . فمتذوق العربية يفهم من الكلمة ان ما يسر انسانا ربما يحزن انسانا آخر ، وعلى ذلك فلا معنى للقول بان السرور هو مطلب كل انسان ، لان السرور حالة عامة لا تتحدد الا بمعرفة ما يسر الفرد على حده ، ومتذوق العربية يسمع كلمة « سرور انسان حزن لآخرين » في السياق المتقدم فلا يفهم منها الاطلاق وانما يفهم منها الاحتمال .

ويقرر العقاد ان مصطفى كمال وموسولينى ودى فاليرا جمعوا شيئا من قوة الرجل وشيئا من قوة المراة فباتوا اكثر من رجال واكثر من نساء فيقرأ بلدينا الناقد العبارة ويغمض عينيه عن القوة المضافة للرجل والقوة المضافة للمراة ليقرر ان هذا المزيج يمكن ان يؤدى بصاحبه الى ان يكون « خنثى » اقل من الرجل ومن المراة على السواء .

ولم يقل العقاد - ان اولئك الزعماء جمعوا شيئا من الرجل وشيئا من المراة حتى يكون ذلك « المزيج » ضعيفا ليس الى الرجل وليس الى المراة . بل قال : انهم جمعوا شيئا من « قوة » الرجل وشيئا من « قوة » المراة وبهاتين القوتين بلغوا مرتبة السيادة كما يقول العقاد على عامة الناس .

عامر احمد العقاد

زاد الغربة

(شعر)

للشاعر : محمد السيد شريف

أنا في الغربة اقتات على طيف رساله
فاكتبيها ، انها نجوى لروحى ، وابتهاله
وأطيل أو اقل ان أبى الشوق الاطاله
كل سطر ، كل حرف هو اغنى من مقاله
انه الدهر ، فماذا يملك الناس حياله

سوف اقضيها هنا وحدى عذابا ، وبعادا
ما الذى يرفضه الناس اذا الله ارادا ؟
نحن رهن للمشيئات مذ كنا عبادا !!
وخطانا في فجاج الأرض لا تأبى انقيادا
ليس الا الصبر ربا لك يا قلب وزادا
اكتبى يا بسمة الدهر ، ويا ذوب الصبا
اكتبى لى ، ان احرفك البيض ، كانفاس الصبا

اكتبى فالشوق ما زال لهيبا ، ما خبا !!
وسيبقى ، بسم الدهر لنا أو قطبا
أملا يملأ دنيای وروضا معشبا

أنت لحنى ونشيدى أنت آهات ربابى
قبل أن القاك ، لم أعزف ، ولم أعرف شبابى
قبل أن القاك ، لم يخطر ربيع نحو بابى
لم تبدد ظلمتى شمس ، ولم تهزم ضبابى
كنت في الصحراء أسرى من سراب لسراب
والتقينا ، يومها ودعت ليلى وشتائى
وتمشى الدفء في روحى وقلبى ودمائى
ونسجت العش من فجرى وأحلامى الوضاء
أغنياتى فيه كالنجوى ، ولحنى كالدعاء
ونشيدى فيه صوفى المعانى والرواء
لم اكن احسب أن الليل يوما سيعود
يفرش الدرب ويطوى خطواتى بالجليد
فاذا الافق أعاصير ، وبرق ورعود
واذا بى ريشة تمضى ، كما الريح تريد
ما الذى أغرى بى الريح فعادت من جديد
اكتبى لى ، فالحديث الحلو ، زاد للغريب
واسطرى لى ، ان ما خطته كفاك وجيب
هو همس وابتسام وشذى الروض الرطيب
هو نجوى من حبيب طرقت قلب حبيب
عن قريب ، يجمع العش خطانا عن قريب

(قاب قوسين)

علي ذو الفقار شاكر

... هو الديوان الجديد **لمحمود حسن اسماعيل** صاحب « أغاني الكوخ » و « هكذا أغني » و « أين المفر » و « نار وأصفاد » .. تلك الدواوين التي شق بها ظلام التعبير الشعري، وهتك ببيانها حجب الابهام عن كثير من خلجات النفس الانسانية، خلجات تهاوت في الطريق اليها تعبيرات وأنغام سابقة ،وخلجات لم تخطر من قبل على قلب شاعر . فكان بهذا شاعرا فردا ، رحب الجناح ، حثيث الخفق ، ارتفع بالشعر العربي الحديث عن قيعان بكماء ما زال الشعراء خلفه يلوكون فيها قديمهم وحديثهم من مبهمات لا خير فيها ولا بيان .

وهو في ديوانه هذا الجديد يؤكد ثبوته على القمة التي وصل اليها ، بل يتخذها تكأة الى آفاق جديدة في عالمه الشعري الذي أشار اليه بقوله :

أنا ، والناي ، والحياة ..

وسر في طوايا النفوس يخفيه برقع

فهو يحمل نايه ويضرب في كالحات الأيام باحثا عن أسرار النفس ليزيل عنها ويبينها ، ونراه في القصيدة التي تحمل نفس عنوان الديوان « قاب قوسين » ، نراه يحدو نفسه الشاعرة مترنما يقول :

قاب قوسين من النور .. فسيري

واهتكي كل لثام في الضمير

والهبي غيب المدى ، واحترقي

في اللظى الباقي ، على نار ونور

ماضيا في هذا الحداء المتوقد الى أن يقول :

قد وصلنا ... لم تكد !! فاقتربي

من شفاف النور في قاع الصدور

قاب قوسين ... بل !!

أنا على قاب قوس ، من ضحى المرسى الأخير .

وشاعرنا في بحثه هذا ليس بغافل عن ما يدور حوله ، فهو وان تأمل ذاته ونفسه فهي ربابة وقيثارة : ان هز أوتارها نسيم الحرية رفت بترانيم النصر ، وان مستها أصابع الزمن الحزين ضجت تلعن البغي وأصحابه . وان كنت ممن تابع أعمال هذا الشاعر العظيم ، فقد رأيت هذا واضحا في دواوينه السابقة وخاصة « نار وأصفاد » وان لم تكن فستراه كذلك فيما يأتي بعد من أقسام الديوان واتجاهاته .

وبعد ..فأول ما يبدهك من الديوان حين تتصفحه هو اشتمال دفتيه على ثلاثة أقسام ظاهرة : القسم الأول «مع هدير الشروق» والثاني « العودة الى الله » والثالث « على باب الربيع » .. ولا يغرنك هذا التقسيم ففي كل قسم من الاتجاهات المتقاربة والمتباعدة ما يتناهى بهذه الأقسام الى حيث لا تبلغ أطر عناوينها تحديده أو حصره .

وأهم اتجاهات القسم الأول هو ما جاء في القصائد التي نستطيع أن ندعوها « ترانيم النصر » والتي تعبر عن انفعال الشاعر وتأمله لما يشمل العالم العربي الآن ومصر خاصة من انتفاضات ذهبت بكثير من ركام الظلم الجاثم على الصدور،وشقت في دجاه طريقا الى النور . وقد كان اعتماد شاعرنا في هذا أما على بيان التناقض بين الماضي والحاضر ، متدفقا في تصوير الماضي صدروا عن المختزن من ذكرياته وخاصة ما دار منها حول « عبيد الأرض » وسكان « الكوخ » .. وذلك كما في قصيدته « جنازة الرق » حيث يعطينا الشاعر :

قصـة من عجـائب الرق مرت

حـول كوخي ولم يزل في كراه

عناصرها كما قال :

أنا ، والكوخ ، والظلام ، وليل

بجميـع الأسرار مدت يداه

وكيف دارت رحى الأقدار والفجر فانهارت أطم الغل ..

ولمن قصة الأغاني حديثا

في ظلال الزوال يعوى صداه

..هــذا وأما عن طريق التأمل الفرح لما حققه الانســان العربي على أرضه من آمال ضنيت اليها النفوس ، وذلك كما في قصيدته « معجزة على النهر » يعني بناء السـد العالي ، حيث يقف الشاعر طربا ينصت لضربات المعاول وهي تشجي نفسه التي ذهبت حسرات وراء رحيل الحياة وهو يحتضر بين يدي البحر ، وكذلك في قصيدة « من معبد الشمس » وهي كما قال : « الراقة مع صحوة الضياء في أطلال معبد بلقيس بأرض اليمن الخالدة » .

ولكنه في خضم التغني بهذه الانتصارات يتوقف قليلا أمام بعض الأشواك التي ما زالت على الطريق تعوق خطا السائرين وتدمي أقدامهم ، فتراه في قصيدة « راية العرب » يخاطبها قائلا :

فاذا شارفت أرضنـا زمجرت

طبا للفجـر من قلب الخيـام

فارشقيها بشعاع مؤمن
يسترد النور من أعتى ظلام
ويذيب العار أنى خطرت
لرؤاه حسرة فوق الرغام
وضحى المعراج يمحو دمعة
لم تزل : ما زال في القدس يهود

وان كان موقنا بزوال هذه الاشواك ، وبمضي الزحف الى منتهاه ، فنجده ـ فيما يتعلق بفلسطين جرح العرب والمسلمين ـ في ختام قصيدة أخرى هي « تكبيرة العودة » يقول :

فلسطين . . .
حان شروق الصباح
ودوى أذانك للزاحفين .

وفي هذا القسم الاول أيضا نلمح اتجاها آخر ، هو موقف الشاعر من العالم المثالي الذي تنزع اليه احلامه ، فهو ينخلع ـ مخاطبا نفسه ـ من موبقات الماضي التي مازالت تنفع سمومها في حاضره الى أمله في عالم ..

كل ما فيه يد تسكب للنفس الضياء
وتحيل الدمع انغاما ، وعطرا ، ورجاء
كل ما فيه : .. أنا ، أنت ، لكل الناس تعطى
قبسا ، من بعضه النور الى راحات بعض

وذلك في القصيدة الرائعة « عاشقة العنكبوت » ، وفيها يفارق الشاعر نفسه ان تلتفت الى الماضي قائلا :

لست مني ... فأنا خطو على كل دقيقة
دفعته ثورة الأقدار في درب الحقيقة

ارجعي أنت .. فاني للسفوح الخضر سائر ،
لصباح ليس فيه نظرة من جفن صاغر

ليس فيه خاطف الرحمة من كف يتيمه
ليس فيه سارق الظل من النفس الرحيمه

ليس فيه آكل من لقمة بنت سفاح
ولدت مرجومة الأنساب من غير كفاح

خطوات من ضمير الشعر في درب الحياة ، تطأ الذل وحيات الضغينة ، وابتهالات الرياء وأغلال العبيد . ولو استطعت لنقلت لك هنا هذه القصيدة كاملة .

وانطلاقا من الاصطدام بالنفس فيما سبق يصطدم الشاعر أيضا بما حوله من ضروب القيود الكابلة لخطو الانسان في طريق الحرية واذا هو في مثل « صحراء المجانب » (رحلة في وجوه الناس) يصطدم بأعتى ما في النفوس من آفات تهوى بالانسان الى حضيض الوجود من خداع ونفاق وادعاء وتقي بليد واثم وضعف . وللنفاق من هذه الآفات نصيب أعظم من بغض الشاعر ، فهو يخنق وجوده ويطفىء ناره . وقد أفرد لهذه المعاني قصيدة « سفاة الضباب » أو « الضباب الأخضر » وفي مطلعها يستصرخ الحرية قائلا :

دعوني أغنى .. فان الغناء طريقي الى كل سر بعيد
خلقت لأرتاد روح الحياة ، وأستل أعماقها للوجود

وفيها يقول :

سلام عليكم !! حداة النفاق وركبانه من سحيق الأزل
على بابكم بح صوت الضياء ، وتابوته في حماكم نزل
وواحاتكم من قديم الدهور يفرد فيها انتحار الأمل

هذه هي الخطوط الاساسية لمعالم اتجاهات القسم الاول من الديوان .

اما القسم الثاني « العودة الى الله » فهو أوضح أقسام الديوان تآلفا وانسجاما، حتى لكأن قصائده المختلفة مقطوعات في قصيدة واحدة لجمها الشاعر وفرقها ، وهي معا تعطينا بناء شعريا متكاملا يعبر عن ملامح قضية واحدة : هي نزوع الانسان بفطرته الى الله ، وصراعه مع نفسه المتفلتة منه الى مسارب العصيان . وعلاقته أثناء ذلك بما أبدع الله من ألوان الجمال التي كثيرا ما تتخذها الآثام وكرا لها . قال في القصيدة الأولى « العودة الى الله » :

رب .. اني لك عدت ، من سراب فيه تهت
وعلى وجهي شظايا ندم فيه التهبت

عاد الى الله داعيا أن يجيره من شيطانه الذي هوى به ـ دون أن يدري من أمره شيئا ـ الى قاع الأسى والاثم والعصيان ، جاء يستجير به من نفسه !! (لعلك قد لاحظت أن شاعرنا كثيرا ما يجرد من ذاته نفسين : احداهما الشاعرة ـ اذا انشعبت به الحياة . ومن منا لا يشعر في بعض اللحظات بانشطار ذاته الى عدة أنفس لا نفسين فحسب) .. أقول جاء يستجير بالله من نفسه التي شلت خطاها فاشلته وراءها ، ومضت هي بالرحيق والأنغام ، وعاد هو مرهق الكاهل بالآثام ، جاء يدعوه قائلا :

رب .. جنبني صداها ، فهي أعدى من عرفت
هي نفسي ، وهي شيطاني الذي منه هربت

لم يكن هو الذي سعى الى الاثم بل جرته اليه نفسه ، قال

ليس لي كأس ، ولا عرس ، ولكني احتطبت
من ربيع ليس لي فيه سوى أني وجدت
ورحيق ، كل ما أعلم أني قد شربت

ولكنه بعد لأي قد استطاع أن يتجرد من نفسه متوجها الى الله يقول :

عذبتني بخطاها ، وهواها .. فاستجرت
والى قدسي على ، من خفاف النور طرت
بعد ما جردت ذاتي ، وعن النفس انفصلت
والى الله بروحي ، وعذاباتي اتجهت

لقد عاد الى الله .. ولكنه « رآها (يعني نفسه) تنسل الى بحيرة المعصية بعد أن أمضها طول المتاب فغناها بهذا العتاب » :

لا .. لن أقول الوداعا ولن أعيد القناعا
عن رحيق رشفته وأي سر كتمته

(من قصيدة الهاربة من المعبد .)

ولكنها من غياهب الاثم راحت تستجير به وقد أفلت من اسارها الى رحاب الضياء :

وقالت أجرني ، فقلت اخسئي
فمن غير رب السماء المجير

تصــــامبت حتى ركبت الظــــلام
عــــل هــودج من غــرور

وطفى الشــــاعر يعنف نفسه ويلومها ، بل يلهبها بسياط العتاب المرير :

دخلت بى الحـان فى مرة
وكان الجـاهى الى المعبــه

وكانت صلاتى قبل الصلاة
مزامير عـلوية المــورد

فخطفتهــا من دمى للرحيق
وقلت : لى اليوم ، قبل الغـد

(من قصيدة « المستجيرة ») .

وفى محراب الطبيعة وعطرها المنداح بين الربا ، وفى ثنايا ثغرها البسام أخذ الشاعر فى صلاته :

كلما غرد طير فى خميله
وهفت للحب دنياه الجميله

وتهادى العطـر فى الربوة من درب لدرب
عاشقا يبحث فى البستان عن قلب وحب :

نبى العطــر غطاه ، وسرى نحو شــفاهى
وجـرى منهـــا : دعاء ، وصـلاة ... يا الهى

هذه هى صلاته بعد أن هدأت نفســه الى التوبة واطمأن نور الايمان فى فؤاده الى حين .

أما وقد انتهينا فيما سبق الى محراب الجمال وعطر الطبيعة فقد أصبحنا على أبواب القســم الثالث من الديوان « على باب الربيع » .

وهذا القسم على النقيض من سابقه قد ضم عديدا من القصائد المختلفة الأنغام والألوان ، بعضها لا أعلم لم وضــعه الشاعر فى موضعه هذا ، اذ ليس بينه وبين ما جاوره مواءمة تذكر ، مثال ذلك قصيدة «لوح العدم» (أمى يناجى نفسه فى مهرجان العلم) ، الا أن يكون الشاعر قد أراد بذلك شيئا فاتنى ولم أدركه . أما بقية القصائد فنلمح من خلالها ألحانا تواكبت وحداتها تشدو بالحب والربيع وروضة المطار والذكريات ... وقد اختلط كل هذا وانسجمت أطياره فى سرب واحد حلق فى سماء هذا القسم من الديوان .

واذا تتبعنا علاقة الشاعر بربيع الطبيعة وسحرها ، ثم علاقة هذا بالحب رأينا الشاعر فى قصيدته « سواقى ابريل » يناجى الطبيعة التى تفجر ــ بجمالها ــ فيه كوامن النشوة والحب تحيى أزهار الحنين .. فاصغ اليه يخاطبها :

ضج الهـوى فى بدنى ... فهل نزعت كفنى !
وســـقت فجرا من زمان الحب فوق أعينى

بالله يا كاهنــة الحب أعيــدى أرغنى
وباركينى ، واهتكى الســتر الذى حيرنى
وايقظى الأوتار من رقادهــا المسكن

وكيف تسمعت روحه الى تمتمات الموج فى هداة السحر وهو يهمس له قائلا :

ضيعت ما ضيعت !! فانظر للربى .. وتبنى ..
ســاقى الربيع دائر ... قم غنه ... وغننى

كذلك تراه فى « أغنية من الكوخ » لا يفصل بين الطبيعة والحب فيقول « لها » :

اذا ما الفجر أضفى نوره فوق التــلال ..
وانتشى الوادى من النور وصـهباء الظلام

. . . .

وغدا النهر هوى يجــرى على صدر الرمال
فانظــرى تلك القرابين بمحــراب الجمال

وترين السحر ــ ســحر الكون ــ يغفو فى خيــال
أنت سحرى ، وفتونى ، وصلاتى ، وابتهال .

فجمال الطبيعة يحييه ويذكى فيه جذوة الحب . ولكن هــذا الحب ذاته من سره جمال الطبيعة وعطر الربيع ، فكما يحيى الربيع الحب ، فالحب هو الذى يبعث فى الروض الحياة !! .. يقول فى « بستان الخريف » :

ان تكن غابت عن الروض طيــور وظلال
وغدا ظمآن ... لا يسقيه عطر أو جمــال
اطرقت منه غصــون ، وبكى فيــه خيــال
.. فتعال نلبس الروض صباه من جـديد
.. فتعــال نحى فى الروض الشــبابا
وننضـــه الهم عنــه والعــذابا
.. فتعال نلبس الروض صباه من جديد
واخطرى كالحلم النشوان فى المهد السعيد

وتزداد هذه الفكرة وضــوحا فى « وغابت عن الروض » وفيها يحدثنا الشاعر كيف ذوى المطر بعدها واطرقت الأغصان وغدا النهر مهدا يتيما لمتعبات الأمواج :

وقفت أناديــك من قاع وهمى
وأبكيك .. والدمــع يأس ذبيح

بمشــلولة من بنــات الرياح
تدالى عــلى ســاعديها فحيح

فما اهــتز فىء ، ولا رد شىء
فمــا الروض ــ بعدك ــ الا ضريح

هكذا يرى الشاعر الروض الذى يفجر الحب ان غاب عنه نسيم الهوى غدا ضريحا لموتى الغصــون ... ولكن هل يموت الحب ان مات عطر الروض ؟ .. لا .. فالحب هو الذى يبعث الحياة فى الوجود ويبثه أسرار الجمال ..

هواك ، وأنت ، وهــذا الوجود
ربيــع يجــددنى ما حييت

فلا تفزعى ان أطل الخــريف
ولم يبق فى اللحن الا خفوت

فلو مات فى روضنـــا كل شىء
فان ربيع الهـــوى لا يموت

(من قصيدة « ربيعنا لا يموت »)

وموتا بموت (والشىء بالشىء يذكر) فقد الحق الشاعر بآخر

« البقية على صفحة ٦٠ »

صموئيل بيكيت
داعية للصهيونية

بقلم : حسين مهدي الغنام

حياته واعماله :

ولد صمويل بيكيت فى دبلن بايرلندا عام١٩٠٦ من والدين يهوديين · وكان أبوه مقاولا معماريا كبيرا فى دبلن · وكان والداه يغدقان عليه كثيرا بعد أن اصبح وحيدهما بموت أخيه فرانك فى حروب الهند وبورما ، فنشأ مدللا سعيدا بين والديه · وكان فتى نحيف القامة وسيم الطلعة نحيلا · وقد تلقى تعليمه فى مدرسة بورتورا الملكية ثم فى كلية ترينتى بدبلن ، وحصل على منحة دراسية من جامعة باريس بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٣٠ فدرس بالقسم الداخلى بمدرسة المعلمين العليا · ثم غادر ايرلندا الى فرنسا عام ١٩٣٢ وبقى بها حتى الآن · وكان أبوه يجرى عليه معاشا شهريا يكفل له حياة طيبة فى باريس ولم ينقطع عنه ذلك الراتب الشهرى الا بعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، فذاق شظف العيش وعمل حطابا فى جنوب فرنسا ، ثم هرب من النازى الى انجلترا وعمل فى مستشفى للأمراض العقلية ·

وقام بزيارات متعددة الى المانيا ولندن ، كما كان يعود الى زيارة دبلن فى فترات متفاوتة ·

ولكنه كان يعيش فى باريس حياة صعلكة ، اذ كان يقضى لياليه فى حى الفنانين والشذاذ ـ مونبارناس ـ وكانت حياته فى ذلك الحى مثل حياة أبناء البلد فى أحط الاحياء الشعبية· فلم تكن تنقضى ليلة دون مشاجرة له مع المتصعلكين الآخرين ، وكان يصاب أحيانا اصابات بدنية فى تلك المعارك · واصيب ذات ليلة بطعنة سكين فى صدره من احد صعاليك باريس الآخرين كادت تقضى عليه · وكان لتلك الفترة من حياته أثرها فى نفسيته وفى حياته المستقبلة وفى اتجاهه الادبى عامة · وهو يحاول أن يبرر هذه الطعنة فيدعى انه لا يعرف الصعلوك الذى طعنه ولا يدرى لتلك الطعنة سببا معقولا على الاطلاق · ويحاول انصاره من بعده أن يلصقوا هذه الطعنة المجهولة باتجاهه الى اللامعقول ، كما يحاولون ان يقولوا ان ابطال مسرحيته (فى انتظار جودو) هم من ذلك الصنف من الناس (الكلوشار) ، اى صعاليك باريس ·

ومن هنا اتجه الى مسرح اللامعقول ، واصبح رائدا من رواده · وهو مسرح يتنكر للمنطق ويخالف العادات والتقاليد ويحارب العادات والمفاهيم المعروفة ويعمل على تحطيم القيم الاخلاقية الموروثة ويحاول أن يخلق أعمالا خلوا من المعانى والاهداف السامية ، اللهم الا الاهداف الخفية الهدامة التى سنشرحها فيما بعد ·

وهو كاتب مسرحى وروائى ·

وكان أول أعماله التى نشرها قصيدته الطويلة المسماة هوروسكوب ، أى (طوالع النجوم) عام ١٩٣٠ ، ثم دراسة أكاديمية مختصرة نشرها بعد ذلك عن بروست ·

وفى باريس اتصل اتصالا وثيقا بالكاتب الايرلندى الآخر جيمس جويس ، وعمل سكرتيرا له·

وفى اثناء الحرب العالمية الثانية تابع نشاطه الادبى الذى يبدو تأثره فيه بالكاتب الفرنسى الكبير مارسيل بروست ، والكاتب الايرلندى الشهير جويس ، وذلك فى رواياته الاخيرة التى كتبها بعد اكتمال وعيه ونضجه الادبى ·

وفى عام ١٩٤٧ ترجم روايته الاولى « مورفى » الى اللغة الفرنسية · ومورفى هذه رواية أشبه بكلام المجانين ، استوحاها من عمله فى مستشفى الامراض العقلية بلندن ، فلم تجد الا ناشرا مجنونا مجازفا جازف بنشرها فجلبت له بعض الشهرة ، ورأى فيها انصاره شيئا جديدا يكتبه رائد مدرسة أدبية جديدة · وفى السنوات التالية آثر أن يضع مؤلفاته باللغة الفرنسية رأسا ، على أن يكتب بلسانه الأصلى ·

وقد ظهرت ثلاثيته : مولى ، وموت مالون ، وما لا يسمى ، فى باريس بين عامى ١٩٥١ و١٩٥٣، فقابلها النقاد والجمهور بقدر كبير من الاستحسان .

وفى عام ١٩٥٢ مثلت أولى مسرحياته : فى انتظار جودو ، على مسارح باريس ، كما مثلت فى نيويورك عام ١٩٥٤ وفى لندن ودبلن عام ١٩٥٦ .

وفى عام ١٩٥٧ قدمت له الاذاعة البريطانية مسرحية اذاعية اسمها « كل الذين يسقطون » .

كما مثلت له فى عام ١٩٥٨ مسرحيتان أخريان، هما : « شريط كراب الاخير » و « لعبة النهاية » .

تقدير اعماله :

يعتبر بعض النقاد الانجليز اعمال بيكيت المسرحية فى مستوى أعمال كبار الكتاب المسرحيين فى هذا العصر . كما يعتبره البعض الآخر من أقدر كتاب الرواية الانجليزية منذ عهد آرثر جويس كارى .

وقد وضع كثيرا من القصص والروايات والمسرحيات غير التى ذكرناها ، وان كان يعتبر الآن كاتبا فرنسيا اكثر منه كاتبا انجليزيا . ولا غرابة فى ذلك ، فهو كاتب يهودى وطنه الظاهر هو الذى يطيب له المقام به ، وان كان قلبه متعلقا بوطن آخر !

وعلى أية حال ، فهو كاتب متفرد يحتاج الى دراسة واعية محايدة لكى يفهم حق الفهم ، لأنه ذو عقلية شاذة لا يتكرر مثلها فى أى بلد آخر فى هذا العصر فهو فى اعماله يمزج بين التخيلية الغريبة الشاذة التى ابتدعها الشعراء فوق الواقعيين (السرياليون) ، وبين آثار أصحاب الجبرية الباطنية ، والمضامين الخفية، مثل كافكا أو كامو .

وسنقوم بهذه الدراسة المحايدة - الاجتهادية الحرة - بعد استعراض آراء بعض النقاد الغربيين فى اعماله ، واشهرها : مسرحية «فى انتظار جودو»، وهى نصف ملهاة ونصف ماساة . وقد تاثر فيها تاثرا واضحا باعمال من سبقوه من الكتاب الايرلنديين وبيئتهم التى اوحت اليهم اعمالهم الخالدة ، مثل مسرحية « فتى العالم الغربى » لجون سنج ،و « القمر فى النهر الاصفر » لدنيس جونستون ، ولكنه زاد عليها ما وطد نفسه على الدعاية له ، وهى أهداف بعيدة المدى .

وهذه المسرحية ، فى تضميناتها الفلسفية ، تكاد تتساوى بالأرض الخراب لأليوت ، والقصر لكافكا . وقد تاثر بيكيت فعلا بالكاتب الروائى المسرحى كافكا تاثرا كبيرا .

اما بعض النقاد الفرنسيين، من أصحاب العقليات الشاذة كمؤلفها، فقد امتدحوها كل المدح واعتبروها أهم عمل درامى مثل على مسارح باريس منذ الحرب العالمية الثانية ، وقابلوها بعاصفة شديدة من الاستحسان ، بينما قابلها العقلاء من النقاد بعاصفة مضادة من الاستهجان والاستنكار .

ولكن هذه المسرحية - على اية حال - لم تلبث ان ترجمت الى اللغة الانجليزية ومثلت على مسارح نيويورك ولندن ودبلن ، كما ترجمت الى اللغات الالمانية والايطالية والفنلندية واليابانية ، ومثلت على مسارحها ، فلقيت نفس النجاح فى معظم تلك البلاد.

وهى من حيث الفن المسرحى ، تعتبر مسرحية فاشلة ، ولكنها دعوة خبيثة منحلة فى شبه ديالوج طويل ممل بين رجلين ملتاثين ، أو ثلاثة رجال . وقد خلت خلوا شاذا ملحوظا من العنصر النسائى .. ولم يكن خلوها من العنصر النسائى اعتباطا ، فان اليهود يحتقرون المرأة احتقارا مهينا فى كل أمر يتعلق بالمقدسات فى نظرهم ، فهى اذن غير جديرة بانتظار مخلصهم جودو مع الرجال !

ويبدو من سياق المسرحية ان البطلين مصابان بالشذوذ الجنسى . ولكنى ارى ان بيكيت نظر فى مسرحيته هذه الى زاوية انجليزية رمزية فى مسحة دينية نشرت بانجلترا فى عشرينيات هذا القرن ، ثم ظهرت فى طبعة منقحة مصورة عام ١٩٢٤ . وهى من تاليف كاتب انجليزى مغمور اسمه مايكل فيرلس ، واسمها « مرمم الطرق » .

للبحث بقية

« حسين مهدى الغنام »

حول الأدب فى شهر

بقلم عبده بدوى

مع المثقفين فى مهرجان :

كنت قد طالبت فى العدد الماضى بالرجوع بفكرة بناءة من المنصورة يلتقى عندها مثقفو القاهـــرة . وقد كان فى ذهنى وأنا أكتب هذا الكلام أنه حين تلتقى وجوه المثقفين أو تتلاحم ، وحين تغرد أصواتهم أو تبدو متقلة بالغضب ، فانه لا بد أن يحدث شىء جديد يحطم « الاطار الثابت » الذى يضعون فيه بعضهم ، ولا بد أن يلتقوا عند بعض نقط الخلاف ، فاذا لم يحدث هذا فلا أقل من التسامى بهـــذا الخلاف ، وجعله موضوعيا بعيدا عن الحقـد والمزايدة والمرارة .

ومع أول وهلة كان يبدو أن هناك ثلاث تكتلات، تتحرك معا ، وتقف معا ، وتتحدث حين تتحدث معا، وتنظر الى الآخرين نظرات ملؤها الغضب الهادىء ، والتوعد العاقل ، والتربص الذى لا بد منه .

صحيح انه كان يوجد فى أول الأمر تياران يمثلان العاملين فى الصحافة السياسية والصحافة الأدبية، ولكن بمجرد وصول الدكتـــور لويس عوض تميز التيار الثالث الذى يمكن تسـميته باللوسية ، ثم اندفعت الطلقات الأولى هادئة فى أول الأمر حين أخذ الحديث يدور عما يكتب فى القاهـــرة ، ثم تتابعت الطلقات الى الحد الذى كونت فيه حريقا كبيرا فى النفوس ، وفى العيون ، وفى الكلمات .

وقـد بدأ الاحتكاك حين أراد البعض أن يسلوا ليلهم ، وكان أن تعرضـوا للمجلات فى كلمـات لا تخرج عن دائرة المداعبة ، ولكن البعض الآخر لم يقبل هذه المداعبة ، وآثر أن يحول الموضوع الى نوع من الجد ، وكان أن دار كلام حول ما يغضب من المجلات ، ومن من الكتاب تراد مناقشـة أفكاره ؟ وما المقترحات التى يمكن أن تقدم فى هذا المجال ؟

وقال زميل : ان هناك هجوما على الماركسية ، وعلى المسيحية ، وعلى بعض الأشكال الجديدة فى الأدب ، ولم نشأ أن نرد على هذه الموجة ، بأن هناك هجوما على الله وعلى نبيه وعلى العرب والاسلام والوحـدة والقومية لئلا يزداد الجرح ، ولكننا آثرنا أن نذكر أن المقالات التى كتبت كانت مناقشة للماركسـية كأية فلسفة من الفلسفات وأن الله اذا كان يناقش فى هذه الفترة فان ماركس لا بد أن يناقش وأنه لا توجد كلمة واحدة تهاجم المسيحية ، بل هناك دفاع صريح عن المسيح حين تحول فى شعر بعض

الشعراء المسيحيين الى ماكر وعنكبوت وباصق في الوجوه .. ويمر الزمن وتصطدم الكلمات المدببة وحين يخف غبار الكلمات تظهر بعض رءوس الأفكار التي تدور حول أن من يناقش ماركس لا بد أن يكون رجعيا ، ومن يتعرض لنقد الدكتور لويس عوض لا بد أن يكون قد تعرض للمسيحية ، ومن يحتك باى شكل من الأشكال الأدبية والفنية الجديدة لا بد أن يكون متخلفا !

❊ ❊ ❊

وتتم لقاءات أخرى ، وتدور الأحاديث في جو جديد من النقاء ، وتطفو على السطح أفكار تدور حول انه لا بد من المحافظة على القيم المضيئة في تراثنا ، وأن الاسلام يجب أن يخرج من دائرة التراث باعتباره منهجا مرنا ينتظم الحياة ، وان الماركسية لم تطبق كنظرية أبدا فقد خرج على بعض جوهرها لينين ، وماوتسى تونج ، وانها في كل مكان تأخذ مسحة جديدة ، وانها يجب ألا تكون الاطار لحياتنا الجديدة، بل جزءا لا بد منه في هذا الاطار باعتبارها تراثا حضاريا لا يمكن تخطيه .

ومن الملاحظ أن ما كان يشغل بال هؤلاء المفكرين لم تكن تلك القضايا الصغيرة كالشعر في الشكل المتجدد ، والشكل التفعيلى ، وكالعامية في الحوار ، والمدارس الحديثة في الأدب والفن ، وانما كانت تلك القضايا الكبيرة التي تمس نظرية الحكم ، وشكل النظام .

❊ ❊ ❊

وحين يواجه بعض هؤلاء المثقفين بالجمهور للرد على بعض الأسئلة التي توجه اليهم ، نتعرف على افكار هؤلاء المثقفين ،وعلى افكار الجماهير نفسها، **فالدكتورة بنت الشاطىء** ترد على سؤال يدور حول بدء الثقافة العربية وأثر الاسلام فيها ، وهل هي تسبق بعض الحضارات الأخرى ؟ بان البدء مجهول ، وانه لم توجد هناك حفريات لتحدثنا ، ومن هنا فالبدء الصحيح للثقافة العربية هو الاسلام ، لانه هو الذى وصلهم بالشعوب الأخرى ذات الثقافات كمصر والشام والعراق وفارس ، وانها بهضمها لهذه الثقافات قد أعطت نوعا جديدا من الثقافة في الوقت الذى لم يكن فيه لأوربا أى اسهام في هذا المجال ، وأن هذه الثقافة كانت وراء عصر النهضة الأوربية .. ومع أن الحديث في هذه الندوات يكون خاطفا وغير مطلوب التعمق في جوانبه ، ومحصورا بدائرة صغيرة من الزمن ، الا أنه لا بد أن الدكتورة تعرف أن هناك بعض المؤرخين الذين وضعوا أيديهم على نقطة بدء الحضارة العربية ، وان هذه النقطة قد تكاملت من المصادر اليونانية واللاتينية والهيروغليفية والمسمارية ، والنقوش الحميرية التي اهتدى الى حلها أخيرا ، بالاضافة الى التراث الاسلامى وما كتبه السائحون والمنقبون مثل كارستن نيبوهر ، وجوهان ليدويج برخارت ، ووليام جفورد بلجراف ، اما أنها لم تسبق بعض الحضارات في المنطقة ، فبالرغم من أن الدكتورة كانت تميل الى هذا الرأى الا اذا تجاوزنا المنطقة المسماة بالجزيرة العربية ، الا أنه لا بد من تذكيرها بكتاب « الثقافة العربية اسبق من ثقافة اليونان والعبريين » للعقاد ، فهذا الكتاب يؤكد أنه لا خلاف في علاقة العرب الأقدمين خارج الجزيرة بالجزيرة العربية ، ولا في قدم العمران في هذه الجزيرة « فمن المألوف أن يحدث الجفاف والجدب في البلاد الصحراوية فيرحل عنها أهلها ، ومن التاريخ الواقع أن هذا قد حدث فعلا غير مرة في هجرة القبائل من جنوب الجزيرة وأواسطها الى بلاد الانهار أو بلاد الخصب الدائم والمرعى الموفور ، ولكنه لم يؤلف ولم يحدث قط أن ينعكس الأمر الخ ص ١٣ »

ثم كان توفيق بنت الشاطىء وهى تذكر أن الرجعية وثنية فكرية يحاربها الاسلام ، وأنه يجب ألا تخون أمة تاريخها ، وأنه يجب ألا نلوح بكلمة الرجعية في وجوه الذين يشدون قلوبهم على تاريخنا ، لأن سنن الفطرة والكون وشريعة الله تأبى أن تنتصر الرجعية ، فيومنا عامر بأمسنا ، وغدنا عامر بيومنا .

ومحمد الغزالى .. أجاب على موقف الدين من الثقافات الأجنبية ، بأن هناك علما لا وطن له ولا عصر له ، وأن هذا النوع من العلم يجب أن نسعى اليه ، أما الثقافة الذاتية التي تمثل تقاليد الأمة ، وقوانينها ، وشرائعها ، وآدابها ، وأشواقها ، فان من الخير ألا ننقل الا ما يثرى هذه الملامح ، ثم ضرب مثلا بروسيا ، فانها في الوقت الذى تتلصص فيه على الأسرار العلمية في امريكا ، فانها تحافظ على مقوماتها في الآداب والفنون .

ومحمود أمين العالم .. أجاب عن سؤال حول الابعاد التي حددتها الثورة لمفهوم الثقافة ، بأن هذه الأبعاد تتمثل في البعد القومي ، فبعد أن كان البعد يحارب بالاستعمار ، ودس الأفكار المتناقضة،

ترى الثورة تكافح من أجل تدعيم هـذا الجانب ، وتنجح في تدعيمه ، وهناك البعد الانساني، فبعد ان كانت ثقافتنا راكدة رأينا الثورة تفتح النوافذ ورأينا أنفسنا نأخذ ما يوافقنا ، ونتفاعل به ، ونضيف اليه ، ثم ان هذه الثقافة اذا كانت في الماضي مدموغة بالطابع الاقطاعي الاستعماري ، واذا كانت تشكلها التوكلية والغيبية والفردية ، فان هـذا كله قد تحول الى ما يمكن تسميته علمية الثقافة ، والاتجاه بموضوعية نحو كافة الأشياء ، أما البعد الرابع فهو أن ثقافتنا الرسمية قد أصبحت ثقافة ملتزمة ترتبط بمصالح المجتمع وحركة التاريخ ، وقيم الشعب والثورة .. ثم تراه يطرح سؤالا يقول .. هل معنى هذا أن يسير مجتمعنا في اتجاه واحد ؟ ، ويجيب بأنا مجتمع غير متجانس ، وانا في مرحلة انتقال ، وأن بقايا الفكر الاقطاعي والرأسمالي ما زالت فينا ، ومن هنا يجب أن نترك هذه الأفكار كالوجودية ـ وهي فكرة غير اشتراكية ـ والوضعية المنطقية ـ وهي فلسفة رجعية ـ ، كما يجب أن نترك التجريدية والتكعيبية والسريالية، لا لتترعرع، وانما ليدخل معها في صراع ولتصفى .. ونحن هنا نسأل الأستاذ محمود أمين العالم : ثم ما الذي يحدث بعد أن تصفى مثلا الوجودية وهي ـ كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ فلسفة تحيا الوجود وليس مجرد تفكير في الوجود وتقوم على مبدأ أساسي سهل بسيط هو أن وجود الانسان ما يفعله ، وانها من أحدث المذاهب الفلسفية وفي الوقت نفسه من أقدمها ، وما رأيه في التقارب الأخير بين السارترية والماركسية ؟ وكيف يكون الاجهاز بهـذه الصورة القاطعة على الوضعية المنطقية في الوقت الذي بح فيه صوت الدكتور زكي نجيب محمود من أنهـا ليست فلسفة بالمعنى الايجابي لهذه الكلمة ، لكنها منهج في فهم العبارات اللغوية بغض النظر عن خامة هذه العبارات ، وأننا في أشد الحاجة الى هذا المنهج لاستهانتنا بالضبط في كلامنا مما تتعذر ترجمته الى اللغات الأخرى ؟

ثم هـل تلقى قياسا على هـذا البرجماتية ، والظاهراتية ، والمثالية ، والشخصانية ، والحدسية .. الخ ؟ وبعبارة أخرى ماذا يبقى في نهاية الأمر لنتصارع معه ؟ ثم لماذا تنمو الآن مثلا في روسيا المدارس الحديثة كالسريالية والتكعيبية والتجريدية في الفن التشكيلي ؟

ولقد توهج الجو حين الحديث عن الغزو الفكري والاحتكاك الحضاري ، فقد أكد **محمد زكي عبد القادر** تعرض الثقافة العربية لحرب مريرة من الاستعمار ، الى الحد الذي أهدرت فيه اللغـة تماما في الجزائر وبعض البلاد العربية الأخرى . والى الحد الذي وجد فيه المواطن الذي يحس بالعار حين يتكلم اللغة العربية، ومع أن هـذا النوع من الاحتكاك قد عصف ببعض الدول التي وقعت في يد الاستعمار . الا أن الشعوب العربية قد تمكنت من رفع هـذه القبضة بالقرآن ، وبالجذور الحضارية الضاربة في المنطقة ، ثم أكد أننا لسنا ضد التلاقح الثقافي في أية صورة من صوره.

وقد خالف الدكتور **لويس عوض** في هذا ، وذكر أنا نستعمل هذه الكلمة بدون ترو ونقول انها أثر استعماري ، ولكن الاستعمار لم يقم بدور ايجابي في الغزو لأنه كان منصرفا الى ما يمكن تسميته « العزل الثقافي » الذي يتمثل في اقامة كادر اداري يشكل الموظفين الذين يكونون في خدمته ، ثم انهم كانوا يقولون ان الافكار الأوروبية غير قابلة للتصدير وان ادخال السكة الحديد أسهل من ادخال لون من الوان الثقافة ، وأن محمد عبده ، ورفاعة الطهطاوي، وقاسم أمين سرقوا « نار الآلهة » وأضاءوا بها حياتنا .

وقد رد الشيخ الغزالي بأن الاستعمار الثقافي حقيقة ملموسة في حياتنا ، وأنه كان يقصـد به فصل الأمة العربية والاسلامية عن تاريخها ومقوماتها، وأن مصر لو لم تنكب بالانجليز لكان لها دور هائل في تحريك آسيا وافريقية ، وأن ضغط الاستعمار على الدول العربية يختلف عن هذا الضغط في البلاد الأخرى التي لا تدين بالاسـلام ، وأنهم عملوا على تحقيرنا، وأن الذين سرقوا نار الآلهة كانوا يعتمدون في اصلاحاتهم على النصوص القرآنية وروح الاسلام ثم أخيرا انهم بنوا عندنا الاوبرا قبل المصنع .

* * *

وبعد هذا التصادم من الأفكار يمكن القول بانه قد حدث تداخل بين التيارات الثلاثة ، وان كان التيار اللويسي قد حرص على أن يظل متماسكا وغير راغب في التداخل مع الآخرين ، وفي الوقت نفسه أخذ عدد كبير من المثقفين على أنفسهم أن يتقابلوا في القاهرة مهما كانت الظروف للمناقشة ، وعرض وجهات النظر ، بعد أن ظهر أن ما يفصل بينهم ليس

محيطا مرهوبا وانما قناة صغيرة يمكن عبورها بجد وبجسارة معا ، وأنه من العار أن يفتعلوا الخصومات، ويزيدوا من حدة التوتر لا للشيء وانما للوهم بان من المصلحة أن تبقى النار دائما مشتعلة للاستمتاع بالدخان ٠

ومهما يكن من شيء فنحن من جانبنا نؤكد أنا عند الوعد الذي عقدناه في أن نلتقي في القاهـــرة ، ونناقش ، ونمد اليد دائما بالسلام ٠

حول المهرجان

● وفق **عميد الامام** في عرض المشكلة الفلسطينية، والدور الذي يمكن أن يؤديه البترول في المنطقة ، غير أن الموضوع ظلت تنقصه لمسة عن دور العرب من القضية على المستوى الشعبي ، وعن دور الأدباء من هذه القضية التي تتجاهل في انتاج الكثيرين الى الحد الذي قيل فيه انهـــا ماتت في ضمير الأديب العربي ٠

● تحدث **سامي داود** في حماس وفي لهجة خطابية كانت تشحذ نفوس الحاضرين عن الثورية التي حطمت أمامها الكثير من الطغاة ، وعن قدرتنـا في تحريك أسلحتنا البشرية والبترولية وكل ما هـــو محكوم بأيدي الاستعمار والموالين له ، كما قارن بين الحافز الفردي في المجتمع الرأسمالي والحافز الجماعي لدى الطبقات العاملة ، وركز طويلا على فكرة الادخـــار المحلي التي تمت في محافظة الدقهلية وبحثت ـ على حد تعبيره ـ على أعلى مستوى سياسي في الدولة ، وقد أعجبني منه أنه أنهى حماســـه الجارف بكلمة مضيئة للسيد المسيح تدور حـول انه لـكي نريد السنابل يجب الا نلقي البذور في الصحراء وانما في الأرض الطيبة ، وكم تمنيت على مفكرينا المخلصين ـ وبخاصة محمود أمين العالم ـ الا ينســـوا في أحاديثهم وهم يخاطبون الشعب ، أن يتكئوا بيديهم معا على القرآن وعلى الحديث ، فالاسلام ليس فيـه « رجال دين » بحيث يلقى عليهم هذا العبء ـ كما هو حادث فعلا ـ ، وانما هو ملك لكل من يفتح قلبه له ، وسنرى كيف نثري الحياة بطريقة لم تحدث من قبل ؟ وكيف نحرك قوى الجماهير بصـــورة لم تحدث في التاريخ اذا جربنا في هذا العصر هـذه التجربة ؟ فلنجـازف ولو في آخر ما نحب أن نقوله كما فعل سامي داود ٠

● لم يلق متحدث أو شاعر ما لقيه الشـــاعر **محمود حسن اسماعيل** من الرضى والاعجاب ، وهو يلقي قصيدته « عاشقة العنكبوت » التي فسرت من بعض أئمة الاشتراكية بأنها فتح جديد في عالم الشعر الاشتراكي ، والى الذين سارعوا بأخذها لنشرها ، وللتدليل على اكتشاف هذا الاتجاه الجديد تقول ان القصيدة قد نشرت بمجلة الرسالة منذ عام تقريبا ٠

● من الكلمات التي أســـعدت الحاضرين الكلمة الآتية للسيدة أم كلثوم :

« ابدأ كلمتي بتقـديم الشكر الى السيد محـافظ الدقهلية لتكرمه بدعوتي الى الاشتراك في هـــذا المهرجان الســـعيد ٠ ولئن كانت ظروف العمـل قد منعتني من الحضـــور فانه يسرني أن أضم صوتي الى أصوات الحـاضرين في الدعاء لهـذا الاقليم الحبيب بالتقدم والازدهار ٠ في هذا الاقليم نشأت ٠ عشت تحت سمائه ورويت من مائه ، وكان أول عمري على جناح هوائه ٠ واني كلمـا عاودني الحنين الى زيارته شاهدت من آثار التقـدم في شتى نواحيه ما يسعد قلبي وخاطري ويزيدني حبا له واعتزازا به ٠ اسأل الله الكريم أن يفسح له في الرزق والنماء وأن يحقق له ولسائر الأقاليم في هذا الوطن العزيز ما نرجوه جميعـا من دوام العزة والـكرامة تحت ظل راعيـه والساهر على اسعاد أهله ٠ وفقه الله وسدد خطاه »٠

● أضفى الشاعر **محمد الجيار** على المهرجان مسحة شعرية رقيقة ، فقد كان يمثل دائما فاصلا موسيقيا عذبا بين كل متحدث وآخر ٠

وأخيرا ٠٠ فقد فعلت المنصورة ما عجزت عنـــه القاهرة ، واستطاع المثقفون أن يلتقوا فيها كأعداء في أول الأمر ، ومتصارعين ، ومتفاهمين على أشياء كثيرة في نهاية الأمر ، واعتقد أن هذا ليس بالحصاد الهين !

« **عبده بدوي** »

رسالة العلم



الدكتور عبد الحليم منتصر

مؤتمر الأحياء الدقيقة

عقد بالقاهرة فى الشهر الماضى ، مؤتمر علمى ، على أعظم جانب من الاهمية ، تناول المؤتمرون فيه من علماء مصر موضوعات تتصل بدراسة الاحياء الدقيقة وأثرها فى أمراض النبات وفى التربة الزراعية ، وتاثير الكيماويات عليها والاحياء الدقيقة فى الالبان والاغذية وفى التخمرات الصناعية ، وقد ألقى فى كل فرع من هذه الفروع عشرات من البحوث العلمية المبتكرة ، ونوقشت نتائج هذه البحوث ، مناقشة علمية هادئة •

وليس من شك فى أن المؤتمر قد حقق أهدافه كاملة ، ولعلنا هنا نعرض لبعض البحوث والدراسات التى شملتها أعمال المؤتمر ، لنبين للقراء أثر هذه الكائنات الحية الدقيقة، فى حياتنا العلمية والصحية، والاقتصادية والصناعية والزراعية ، وكيف أن هذه الكائنات التى تبلغ غاية الدقة والضآلة فى حجومها، تؤدى دورا هاما وخطيرا فى حياتنا .

وقبل أن نعرض لهذه الدراسات، نحب أن نتعرف الى صور هذه الكائنات من بكتريا أو فيروس أو فطريات أو طحالب، وكيف أن بعضها يوجد بالملايين فى السنتيمتر المكعب الواحد من التربة أو الماء ، وكيف أن خلاياها تقوم ، بكل مظاهر الحياة ، من تنفس ، وتكاثر وتغذية ، ونمو ، وتتأثر بالحرارة والبرودة والرطوبة والكيماويات المختلفة وغيرها من مؤثرات • وكيف أن بعضها لا يكاد يرى الا بالمجهر على حين أن بعضها الآخر لا يكاد يرى الا بالمجهر الالكترونى الذى تصل قوة تكبيره الى مائة الف مرة أو تزيد ، وغنى عن الذكر ان العين المجردة لا يمكن أن ترى مثل هذه الكائنات الدقيقة •

ولعلنا نذكر كذلك أن مئات من الامراض تصيب النباتات والمحاصيل ، وعشرات منها تصيب الانسان ، وعشرات غيرها تصيب الحيوان ، ومسبباتها جميعا ، انما هى كائنات فيروسية دقيقة، تنفذ من مسام المرشحات ، ولا تمكن رؤيتها الا بالمجهر الالكترونى ، وبعضها يسبب أمراضا خطيرة تصيب الانسان ، مثل شلل الاطفال ، والحصبة ، والجدرى وغيرها •

ويحدثنا علماء مصر فى المؤتمر المذكور ، انهم لاحظوا منذ سنة ١٩٦٠ مرضا يصيب الفول بشكل وبائى وأنه يسبب تبرقشا فى أوراقه ، كما لاحظوا مرضا مشابها يصيب نبات البسلة، ونشط الباحثون لمعرفة مسبب المرض ، فاذا به نوع من الفيروس، وانه لينتقل بواسطة التلقيح بالعصير ويصيب جميع أنواع الفول التى تزرع تجاريا بمصر ، وكذلك الاصناف البلدية المحلية ، وباختبار خمسة وعشرين صنفا مستوردة من الخارج، وجد أنها جميعا حساسة للمرض، وقد وجد أنه يصيب الفول والبسلة وكذا الترمس والبرسيم والفاصوليا والدخان والطماطم والقرع • وقد درس الباحثون خواص الفيروس المسبب للمرض ، ووجدوا أن نشاطه يتوقف عند تعرض العصير لدرجات حرارة أعلى من ٦٠°م لمدة عشر دقائق ، كما أنه لا يحتمل التجفيف أكثر من ١ : ٥٠٠٠ ، كما وجد أن العصير المستخرج من نباتات مصابة، يمكن أن يحتفظ بقوته لاصابة الفول

لمدة ٤٤ ساعة . كذلك فى حالة حفظ أوراق فول مصابة فى حالة متجمدة على درجة ٢٠٠°م فانها تبقى معدية فترة أكثر من ستة شهور .

وعرض آخرون بحثا عن علاقة البوتاسيوم والنتروجين والفسفور بمدى اصابة نبات القطن بمرض الذبول التى تسببه فطرة خاصة. وقد هدف الباحثون لدراسة مدى تأثر فطريات التربة المسببة لأمراض النبات بعوامل كثيرة من بينها العناصر الغذائية ودرجة تركيزها بالتربة . وقد زرع الباحثون بذور القطن من صنف الكرنك فى مزارع رملية ، ملقحة بالفطرة المعزولة ، من نباتات مصابة، ورويت بمحاليل غذائية ، تحتوى على وحدات تركيز مختلفة من العناصر التى يبحثون عن أثرها ، كما افتقر بعضها الى كل من هذه العناصر على حدة .

ودرس باحثان موضوع التفاعل بين البكتريا المحيطة بجذور القطن والفطرة المسببة للمرض ، تمهيدا لمعرفة كيفية المقاومة الاحيائية للمرض ، أى مقاومة كائن حى بكائن حى آخر ، فقد وجد أن معظم أنواع البكتريا المتجرثمة تنتج مواد مضادةللفطريات، وانه يمكن استعمال هذه البكتريا فى المقاومة الاحيائية . وقد عزل من المنطقة المحيطة بجذور القطن من صنف الكرنك والاشمونى نوعان من هذه البكتريا ، وجرب تأثير كل منهما على نمو الفطرة المسببة لمرض ذبول القطن تحت ظروف متغيرة من درجات الحرارة ، والرقم الايدروجينى ، والمصادر النتروجينية ، وقد بينت النتائج ان التفاعل بين الفطرة والبكتريا تتغير بتغير هذه العوامل ، فقد يحدث توافق تام ام تضاد تام ، وبذلك يمكن استغلال هذه الظاهرة فى مقاومة المرض . كما درس آخرون مرض العفن الاسود فى البطاطا ، وكذلك العوامل التى تؤثر على العفن الابيض فى البصل ، وقدم عدد من الباحثين دراسات هامة على مرض صدا القمح ، درسوا تأثير درجات الحرارة على فترة الحضانة لسلالاتها المختلفة ، وكذلك تأثير شدة الاضاءة على هذه الفترة ، وعقدوا مقارنة احصائية لأبعاد الجراثيم المسببة لصدا مرض القمح ، ومدى تأثير العائل والظروف البيئية على هذه الأبعاد .

ومن البحوث التى أثارت اهتمام المشتغلين بعلوم الاحياء الدقيقة فى هذا المؤتمر ، تلك الدراسة التى قام بها بعض الباحثين على فيروس طاعون الدجاج، وعلى مرض تفحم البصل فى مصر ، وقد وجد فى الحالة الاخيرة تزايد الاصابة فى الشتلات حتى يبلغ عمر النبات حوالى شهر ، وتحدث معظم الاصابة فى خلال الستة الايام الاولى من الزراعة . وقد لوحظ أن انخفاض درجة الحرارة يساعد على زيادة الاصابة بالمرض ، فى حين ان ارتفاعها يؤدى الى قتلها مما يجعل من المفيد النصح بالتبكير المناسب بزراعة الشتائل ، والامتناع عن زراعتها فى وقت متأخر لتجنب الاصابة بهذا المرض، أو تقليلها الى حد كبير.

وثمة دراسات على تأثير بعض المبيدات الفطرية فى مقاومة مرض البياض الزغبى واللطعة الارجوانية على البصل الفتيل وأخرى عن تأثير بعض المبيدات الفطرية العضوية والنحاسية على مقاومة مرض التبقع البنى والصدأ على الفول وغيرها على علاج مرض البياض الزغبى على العنب بالمطهرات الفطرية الحديثة .

وتكلم عدد من البحاث على ظاهرة جفاف الافرع على شتلات البرتقال، ومرض تبقع أوراق القطن وأمراض الموالح الفيروسية ، وعفن النورات فى نخل البلح ، والندوة المتأخرة على الطماطم ، والتدرن التاجى فى مشاتل البرقوق ، وتبرقش الاوراق فى الموز ، وأمراض الورد والدخان والبطاطس والتفاح وغيره من ثمار وخضراوات ومحاصيل .

وفى شعبة الأحياء الدقيقة التى تعيش فى التربة الزراعية ، عقد المؤتمر عدة جلسات ، خصصها المؤتمرون لهذا الموضوع الحيوى ، عرضت فيها ، عشرات من البحوث عن تأثير بعض الطحالب الزرق على محصول الارز وقدرة بعض الطحالب المعزولة من التربة المصرية على تثبيت الازوت ، وتأثير التلقيح البكتيرى فى محصول الفول السودانى ، والفول البلدى ، وتأثير التسميد الفوسفاتى والنتراتى والتلقيح البكتيرى على بعض المحاصيل ،وتأثيراصلاح الاراضى الملحية على بعض خواص التربة ، وأثر التسميد المستديم على النشاط الميكروبى بالتربة . وأثر تجفيف التربة (التشريق) فى حيويتها ومحتواها من الأزوت . ودراسات على الزيم الفوسفاتيز فى الاراضى المصرية ، والطرق الاحيائية فى مقاومة بعض أمراض النبات ، والاختلافات الموسمية فى ميكروبات التربة والمادة العضوية والنتروجين فى الاراضى المصرية وتأثير درجة الحرارة على بعض الخواص

الحيوية والكيماوية في الارض ، ودراسة استخدام نبات ورد النيل سمادا عضويا مع العناية بما قد يحمله من طفيليات • اذ المعروف ان نباتات ورد النيل تمثل مشكلة في الوقت الحاضر ، حيث تغزو قنوات الرى والصرف وتعوق الملاحة الداخلية، وان تراكمها على الجسور يسبب مشكلات أخرى ، ولذلك تتعين دراسة كل ماهن شأنه العمل على ازالتها كلية •

كما عرضت دراسات عن أثر اضافة المتخلفات النباتية غير المتخمرة للتربة سواء في خواصها الحيوية أو الكيمائية أو على المحصول التالى • وأخرى عن التأثير المصلح لنشارة الخشب على الاراضى الرملية المستحدثة • ويشير الباحثون بامكان استخدام نشارة الخشب كمادة عضوية في تحسين خواص التربة وانتاجيتها ، وخاصة في السنوات الاولى عندما تعانى التربة انخفاضا في القدرة على الاحتفاظ بالماء • وخص الدارسون بعض بحولهم بقمامة شوارع القاهرة وامكان تصنيعها والاستفادة منها.

وفي شعبة تأثير بعض الكيماويات في الكائنات الدقيقة عرض بعض الباحثين لموضوعات ودراسات هامة عن التوافق الحيوى بين المبيدات الفطرية والحشرية ، والعلاقة بين التركيب الكيماوى والتأثير الحيوى ، حيث درس التأثير الابادى الفطرى لمختلف الاملاح والمركبات العضوية ، وتأثير بعض المبيدات الفطرية أو الحشرية أو الحشائشية على ميكروبات التربة •

وفي موضوع المضادات الحيوية ألقيت عدة بحوث عن قدرة بعض النباتات الراقية على انتاج المضادات البكتيرية ، وعن عزل الفطريات المنتجة للمضادات الحيوية من القناة الهضمية لديدان الأرض •والمضادات الحيوية التى تنتجها بعض الفطريات المختلفة المعزولة محليا كما عرضت موضوعات أخرى خاصة بالأحياء الدقيقة في الاغذية والألبان ، وقدمت دراسات وافية عن الاحياء الدقيقة في الالبان المتخمرة ، وأنواع الخمائر في محاليل التخليل ، ودراسة المخللات المصرية من الناحيتين البكتريولوجية والكيماوية ، وبكتريولوجيا الجبن الدمياطى ، ودراسات على الالبان المبسترة في الجمهورية العربية المتحدة وعن استعمال فوق اكسيد الايدروجين كمادة حافظة للبن •

وفي مجال التخمرات الصناعية ، عرض علماء مصر عددا كبيرا من البحوث الهامة التى يقومون بها في الوقت الحاضر مثل انتاج بعض المواد بواسطة الكائنات الدقيقة ، وأثر العوامل البيئية والغذائية على هذا الانتاج ، ودراسات عن تأثير عسل النحل في نمو البكتيريا وعن التغيرات التى تحدثها أشعة جاما في الخميرة ، وعن القيمة الغذائية لنباتات الذرة الخضراء التامة النمو ، وكذا عروش البطاطا ، وفحم بنجر السكر ، واستغلال الاعلاف الخضراء ، وتقدير الكحول في المزارع البكتيرية ، واستخدام أملاح الكروميوم في الزراعة اللاهوائية للكائنات الحية الدقيقة ، وانتاج بعض الأحماض العضوية من بعض سلالات محلية من الفطريات ، وتأثير الازوت والفسفور في ناتج الخميرة عند تنميتها تحت ظروف خاصة ، وكذلك عزل سلالات من الخمائر لها القدرة على استخدام بعض السكريات ، وصلاحية نخاع قصب السكر في انتاج خميرة العلف ومعاملة أوراق الدخان قبل التصنيع •

وبعد : فقد اشترك في هذا المؤتمر الناجح نحو مائة وعشرين من المتخصصين في هذا اللون من الدراسة وكلهم من علماء مصر ، وقد ألقوا أكثر من مائة بحث مبتكر ، تتعلق بموضوعات الاحياء الدقيقة وأهميتها في الزراعة والصناعة وأمراض النبات والاغذية والالبان • وقد استطاع شباب العلماء أن يقدموا في هذا المؤتمر أبرع عرض وأوفاه ، مما يجعلنا نرجو أن مصر ستستطيع أن تطمئن الى أن مستقبلها العلمى في أيد أمينة ، وأن علماءها قادرون على أن يبوئوها المكان اللائق بها بين الامم التى تستبق في ركب العلم وموكب الحضارة •

« د • عبد الحليم منتصر »

نقد الكتب وتعريف

بقلم : تحسين عبد الحى

الدقهلية بلد لها تاريخ

تأليف : السيد فرج

عندما يتحدث المرء منا عن محافظة الدقهلية يشعر بأن هناك أشياء كثيرة تنبت فى قلبه بكثير من الحب وبعض الألم ٠٠ ويدعم شعور الحب وينميه طبيعة الانتماء الى الأرض والبيت الذى نشأ فيهما ٠

تلك الارض الخضراء التى أعطتنى أول أنفاس الحياة بسخاء وذلك البيت الذى يقع فى احدى قرى مركز ميت غمر الذى شهد طفولتى وصباى ـ والذى تعلمت فيه الكثير عن الحب والوطن والانسان قبل أن تحاول المدينة الكبيرة أن تبتلعنى بصخبها وتناقضاتها ٠ وما زالت قريتى « **بشالوش** » حتى الآن تعمل فى نفس عمل الاستاذ الرائد والموجه الذى يقدم لتلميذه وابنه نصائحه الصامتة بلا تعالم أو ضجيج ٠٠ وعندما أتزود بهذه النصائح الصامتة يوما أو يومين كل شهر أعود الى مدينتى الكبيرة لاناضل فيها من أجل عالمى الكبير وعالمى الصغير فى وقت واحد ٠٠ ولا أريد هنا ان أسترسل فى الحديث عن قريتى وعالمى الصغير الذى أحبه وأحس فى نفس الوقت انه ما زال ضائعا ومحروما من الكثير وذلك لان أساليب التخطيط الاشتراكية قد دمرتها أساليب العمل المظهرية بلا وعى وبلا ادراك ٠٠

ان هناك رأيا يقول بأن الغرض من اقامة الحكم المحلى فى المجتمع الاشتراكى هو تقسيم المجتمع ككل الى وحدات « محافظات » تكون أصغر نسبيا من حجم الدولة ـ ويكون لدى المحافظ فيها صلاحيات التوجيه السياسى والاشراف على خطة التنمية الاقتصادية والثقافية ٠ والغرض من ذلك التقسيم يرجع فى الدرجة الأولى الى أن الفرد فى المجتمع الاشتراكى يختلف عنه فى المجتمع الرأسمالى ، فالفرد فى المجتمع الاشتراكى يعمل لصالحه ولصالح الدولة ، وبطاقة يجب أن تكون أكبر وأقدر بكثير ، وذلك للاسهام فى سرعة انجاز التحول الاشتراكى لكى يتكون لدينا فى النهاية ما يمكن تسميته بالدافع الجماعى ٠٠ ويغذى هذا الدافع الجماعى ذلك الترابط الذى يجب أن يكون قويا ومتينا بين جماهير العاملين وبين المسئولين عن التخطيط والتنفيذ بلا حواجز بيروقراطية جوفاء تفصل بين القيادة العاملة على جبهة التنمية الاقتصادية والثقافية وبين جنودها المتمثلين فى جماهير شعبنا العامل ٠ وفى رأيى أن مزيدا من الفهم الواعى لطبيعة المرحلة التى يجتازها شعبنا فى اطار خطته الطموحة للتنمية والتقدم ـ سوف تزيد حتما من قدرة القيادات الاقليمية وفعاليتها فى دفع العمل الاشتراكى الى الامام مدعمة اياه بالتمازج السلوكى الاشتراكى الملتزم ٠

***

لقد أتيح لى فى الاسبوع الماضى أن اشترك فى المهرجان الثقافى الذى اقامته محافظة الدقهلية وكنت أحس منذ البداية أن هذا المهرجان قد حمل الى مدينة المنصورة الجميلة ومصيفها الرائع فى جمصة ـ كل متناقضات العاصمة الفكرية ٠٠ ولكننى فى نهاية ايام المهرجان أيقنت أن هذا الاجتماع قد أتاح لكثير من الأطراف أن تتفهم مواقف غيرها ـ وذلك عن طريق الاجتماعات الجانبية التى كانت تتم على موائد الطعام وعلى شاطىء مصيف جمصه الساحر ٠

ولن أكون مغاليا حينما أقول ان مهرجان المنصورة الثقافى قد أسهم مساهمة فعالة فى تقريب وجهات النظر لدى أولئك الذين يكتبون ويتناحرون على

صفحات الصحف والمجـــلات دون أن يرى بعضهم الآخر ودون حتى أن يعرفه .

ولست هنا فى مجال تقييم المهرجان لأن ذلك ما سيقوم به ازميل عبده بدوى ولكنى أجد نفسى مدفوعا الى القول بأنه على الرغم من أن قضية العرب الكبرى فى فلسطين قد خرجت بنصيب الاسد من المهرجان سواء بالبحث والدراسة أو بالشعر .. الا اننى أحسست بأن أسلوب المعالجة ومنهج العرض لهذه القضيةالمصيرية الهامة قد تميزبطابع السطحية الخطابية دون التعرض لأساليب المعالجة الموضوعية ولكننى أيقنت أن تلك الصفات والملامح الفكرية يمكن أن تتطور بعقد المزيد من هـــذه اللقاءات المباشرة لصالح تطوير نظرةالمفكرين أنفسهم عندما يشعرون بأن جماهير مستمعيهم فى حاجة الى مزيد من البحث والاجتهاد والدراسة الموضوعية ـ تلك الدراسة التى يجب أن تختلف بأسلوبها ومنهجها عما يكتب فى الصحف كل يوم .. وبخلاف القضية الفلسطينية تعرض المهرجان لقضـايا ـ تلاقى الثقافات ومفهوم العمل الثورى المستمر .. وعلى الرغم من أن لى كثيرا من الملاحظات على هذين الموضوعين بالذات الا أننى سوف أدخل مباشرة فى موضوع كتاب اليوم وهو **الدقهلية بلدة لها تاريخ** .. والكتاب يغلب عليه مفهوم عنوانه وهو سرد لتاريخ نضـال شعبنا فى الدقهلية كجزء مناضل وفعال من حركة شـعبنا النضالية ضد الاستعماريين الاجانب طوال مراحـله التاريخية المختلفة . وفلسفة التاريخ الجديدة كما يراها المؤرخون المعاصرون ـ تؤمن بأن الثقـافة والماضى وما ينعطف عليهما ليست جامدة ولكنهـا متطورة . بل أن تقديسها هو فى بقائها حية مناسبة للعصر عن طريق تطويرها تبعا لحاجاته ومشكلاته ، وأن طريقة وفاء اهل كل عصر بحق ثقافتهم وماضيهم النضالى والبطولى هو فى دفع هـذا الماضى قدما فى معارج التطور الى أعلى ـ أى فى معارج التقدم . وعلى أساس هذه الفلسفة فان التاريخ ليس هو بحث الماضى أو تصويره ولكن القـاء أضوائه على الحاضر بقصـد معرفة كيفية حدوثه ، وتوضيح أصول مشـكلاته ، وطريق تطويره وتحسـينه ، أى أن التقـديس والاعتزاز ليس للماضى فقط ، ولكنه للجماعة وهى كائن حى يرتبط فيه الماضى بالحـاضر وبالمستقبل فى عملية تاريخية واحدة.. فاذا استطعنا أن نتفهم طبيعة الأهداف التى حركت الحروب الصـليبية العدوانية على مشرقنـا العربى ، والتى قاومت منهـا المنصـورة حملتين متتاليتين وانتصرت فيهمـا ـ أقول اذا تفهمنا ذلك بطريقة صحيحة وموضوعية استطعنا أن نرى الكثير من الدوافع المستترة التى تحرك الاستعماريين الأوروبيين فى الوقت الحاضر الى جانب الأهداف العامة الواضحة بأسلوبها الاقتصادى والاستغلالى.. ولنقم بجولة فى تاريخ المنصورة كجزء من تاريخنا .

***

يقول المؤلف :

ترقد المنصورة الآن على أرض الجزيرة وهى الأرض الواقعة بين ملتقى البحر الصـغير والفرع الشرقى للنيل .. تنظر الى النيل وكأنها فى حلم .. تبتسم له أحيانا فى حنـان دءوب وأحيـانا فى شـوق عارم كأنها تود لو استطاعت أن تحتضنه وتقبله . انهـا عروس غراء باسمة الثغر دائما سمحة المحيا أبدا . تزداد جمالا وصبى على مر الأيام . والمنصورة الآن وهى فى عنفوان شبابها بفتنتها وسحرها كزهرة الربيع لها قصة طويلة مع التاريخ .

فعندما استقر المقام بالسلطان الكامل فى أشموم طناح « أشمون الرمان حاليا » تدبر إمره وطهر جيشه ثم عاد الى فارسكور حيث لحق به جيش وعساكر أخيه عيسى القـادم لمساعدته من دمشق ـ ولـكن انتشار الأمراض فى جيش الملك الـكامل وقـلة الاقوات .. اضطرته للرحيل عن فارسكور الى موضع لم يكن قد اختار له اسما غير أنه يقع بين البحر الصغير والشاطىء الشرقى للنيل أو كما يقول **أستاذنا الزيات** بين النهر الكبير والبحر الصغير . لا يميزه عن غيره من الامكنة الا جمال موقعه وفساحة أرجائه وصفاء هوائه ..

وعكف الملك الكامل على تحصين معسكره الجديد فبنى الدور وانشأ الأسـواق ، ولم يكن يدور بخلد أحد أن تلك البقعة التى شيد فيها الملك الكامل الدور والأسواق سنة ١٢٢١ ستكون مدينـة من أجمل مدن الشرق وأغناها وأعظمها شأنا لتعرف للعالم والتاريخ باسم المنصورة .

وبعد أن يشرح الكتاب الاطوار والمراحل الحربية التى مرت بها ظروف الحملة الصليبية الأولى وانتصار الجيوش النظامية وجيش النضال الشعبى فى مقاومة هذه الحملة ودحرها يصور لنا كيف تبارى الشعب يوم الانتصار فى اظهار الفرح . وحق لمدينة المعسكر الكامل أن تسمى بالمدينة المنصورة على قول المقريزى ـ كما حق لها أن تنمو نموا ملحوظا وأن تصير مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والاسواق مع بقاء مبانيها

وملامحها العسكرية على حالها مدة جيل أو جيلين على اقل تقدير ·

ونحن هذه الحوادث التي حولت المنصورة من منزلة حربية من منازل السلاطين الايوبيين على فرع دمياط · الى مقبرة لاضخم حملة صليبية هي بدايتها الحوادث التي جعلت مدينة المنصورة الحالية موضع مجد من امجاد التاريخ العربي في مصر في مرحلة من اشد مراحل التاريخ حرجا ·

اذ قدمت الى مصر الحملة الصليبية الانتقامية الثانية في ترتيب الحملات على مصر بقيادة الملك لويس التاسع الملقب بالملك القديس · وعندما وقفت له الجيوش النظامية والشعبية بقذائف اللهب وبالايمان الذى لا يتزعزع بالله وبالوطن – أصيب لويس بالفزع والهلع حتى انه صاح باكيا في وسط المعركة الفاصلة امام جنوده « أيها السيد الاله العظيم · احفظ لى رجالى » وقد سجل جوانفيل مؤرخ الحملة في مذكراته يصف فعل النيران بالجيش الصليبي بقوله :

« ان نيران المقذوفات كانت تجوس خلال المعسكر حتى أنها أصابت سرج الملك – وأنها كثيرا ما كانت تنهمر على الفرسان حتى خيل الينا · أن نجوم السماء كانت تتساقط علينا » ·

وبعد هزيمة الحملة واندحارها أخذ القائد المصرى بيبرس يبحث عن لويس فوجده هاربا محتميا في تل قونه في قرية ميت الخولى عبد الله · فقاده أسيرا ذليلا ، مقيدا الى المنصورة · وسحب الى دار ابن لقمان في السابع من ابريل سنة ١٢٥٠م وعهد به الى الطواشى صبيح المعظمى لحراسته والاشراف عليه حتى أفرج عنه بفدية كبيرة في السابع من مايو سنة ١٢٥٠ م ·

وفرح الناس وابتهجوا بهذا الانتصار العظيم وقال الشاعر ابن مطروح في هذه المناسبة الخالدة قصيدته المشهورة التى جاء فيها :

قل للفرنسيس اذا جئته
مقال صدق من قئول فصيح

آجرك الله على ما جرى
من قتل عباد يسوع المسيح

اتيت مصر تبتغى ملكها
تحسب أن الزمر ياطبل ريح

فساقك الحين الى أدهم
ضاق به عن ناظريك الفسيح

وكل أصحابك أودعتهم
بحسن تدبيرك بطن الضريح

خمسون ألفا لا ترى منهم
الا قتيلا أو أسيرا جريح

وفقك الله لأمثالها
لعل عيسى منكم يستريح

ان كان باباكم بذا راضيا
فرب غش قد اتى من نصيح

وقل لهم ان اضمروا عودة
لأخذ ثأر أو لعقد صحيح

دار ابن لقمان على حالها
والقيد باق والطواشى صبيح

وهكذا كان نضال شعبنا ضد أعدائه الأوربيين في الماضي يوم كانوا يرتدون في حربنا مسوح الرهبان – وهكذا سوف يستمر نضال جماهيرنا ضد الاستعماريين الأوربيين الذين لم يتغيروا كثيرا عن أجدادهم اللهم الا اعطاء حروبهم ضدنا بعض التعريفات الحديثة التي تتفق وروح العصر ·· ولكن شعبنا يعرف دائما ماذا يريدون منه ·

❊ ❊ ❊

تاريخ النظرية الاخلاقية وتطبيقاتها العملية

تاليف : أبو بكر ذكرى

الناشر دار الفكر العربى

يحتوى الكتاب على أبحاث متعددة في فلسفة الأخلاق بما في ذلك جوانب من تاريخها ومباحثها الاجتماعية والعملية · مثل البحث الخلقي عند الأمم القديمة مثل قدماء المصريين وقدماء الهنود والعبرانيين وقدماء الاغريق بما في ذلك سقراط ومدرسة افلاطون وأرسطو ثم الرومان أمثال سنكا – ومارك ، ثم الأخلاق المسيحية والقرون الوسطى وبعد ذلك يصل الى الاخلاق في العصر الاسلامى عند الكندى والفارابى واخوان الصفا وابن مسكويه وابن طفيل · وبعد ان يستعرض الكتاب بعض النظريات الاخلاقية في عصر النهضة يصل الى طبيعة الأخلاق في الفلسفات المعاصرة مثل الوجودية والماركسية او الجدلية المادية وغيرها ·

ويقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع الكبير ·

« تحسين عبد الحى »

قراءات في المجلات العربية



يقدمها محمد العوانى

طه حسين شاعرا :

نشرت مجلة « قافلة الزيت » فى عـدد ابريل ١٩٦٥ مقـالا للدكتور جمال الدين الرمادى عنوانه « عميد الادب العربى الشاعر الدكتور طه حسين » وقد عرض فيه الدكتور الرمادى لشاعرية الدكتور طه حسين واستشهد بنماذج من شعره وذكر من هذه النماذج قصيدة نظمها الدكتور طه فى زواج أستاذنا الزيات وقدم الدكتور الرمادى لهذه القصيدة بقوله : « وقد تمكنت بين طه حسين وأحمد حسن الزيات ، أواصر صداقة متينة ووشائج محبة قديمة منذ أوائل هذا القرن ، وكان طه حسين يجتمع بالزيات فى الأزهر حينا ، وفى المنتديات والمقاهى المنتشرة حول الازهر تارة أخرى . كما كان يجتمع به أيضا فى بيت آل عبـد الرازق فى بعض المرات ، حيث كان آل عبد الرازق يعقـدون جلسـات أدبية شهية ، يحضرها أعلام الفكر والادب فى هذا العصر ومنهم : الشيخ عبد العزيز البشرى ، وحافظ ابراهيم، وكان الزيات وطه حسين لا يفترقان الا ليلتقيا مرة أخرى فى أحد هذه الاماكن .

وتمكنت أواصر المـودة بينهمـا كل التمكن حتى وشى بينهما رجال السوء فدبت القطيعة بينهمـا وبيس الثرى ، وامتدت الجفوة الى أن شـاء أحمد حسن الزيات أن يسـتكمل دينه بالزواج ، وهنا تحركت مشاعر الحب القـديم فى قلب طه حسين ، وجذبته روابط الاخاء والمودة جذبا ، فنظم قصيدة يهنىء بهـا صديقه الزيات الذى كان قد دعاه الى حضور حفل قرانه ، فأجاب طه حسين دعوته ونشر على أثر ذلك قصيدته بهذه المناسبة فى صحيفة مصر الفتاة بتاريخ ١٥/١٠/١٩١٠ قال فيها :

يا خليل سلامى
حبذا يـوم القران
حبذا أمس فقـد أدنى
نوالا غير دانى

حبذا ليلة أمس
راق لى فيها زمانى
ليلة قد نلت فيها
من حظوظى ما شفانى
أنا لا أحمد منها
حسن توقيع الأغانى
لم أزل أقصـف حتى
خلت أنى فى الجنان
بينما نحن على ذلك
.. زف القمران
ايه يازيات ما أجمل
سـاعات الأمانى
هن قد عجن لنفسى
ذكر سحر وعنان
أنا لولا سوء حظى
لم أكن الا ابن هـانى
يا شقيق النفس ضـاق
الشعر عن نظم التهانى

لا تلمنى ان دعوت الشـ
ـعر والشعر عصانى
جل حبى لك يازيات
عن وصـف البيان

• الأدب .. والغزو الفكرى :

أصدرت مجلة « الاقلام » العراقية عددا خاصا بمؤتمر الادباء الخامس الذى عقد أخيرا بالعراق ، وقد كان الغزو الفكرى من أهم القضايا التى أثيرت فى هذا المؤتمر فتحدث عنه الكثيرون من ممثلى الوفود المختلفة فى أنحاء الامة العربية ، ونبين هنا ما قاله ممثل المغرب فى هذا الموضوع .. فيقول « عبد الكريم غلاب » أن الفكر استخدم الآن كسلاح للغزو مثله فى ذلك مثل فرقة عسكرية توجه الاحتلال اى بلد واستغلال ممكناتها واستعباد المواطنين فيها ، وضرب الباحث مثلا على ما كان للمفكرين قديما من دور فى هذا الغزو فوضح أن نابليون حينما عزم على احتلال مصر قدم بين يديه مجموعة من العلماء والمفكرين ليمهدوا للغزو نفسيا وعلميا وفكريا ، كما أن فرنسا حينما اتجهت الى احتلال المغرب العربى بعثت مع جيش الاحتلال جماعة من العلماء والمفكرين مهدت للاستعمار ، ويتناول الباحث ماخلفه هؤلاء من أثر سيىء فيوضح أنهم حرفوا المقومات العلمية والحضارية للبلاد العربية ، وأنهم « نصبوا انفسهم لكتابة تاريخنا فشوهوه ومزقوه وأدخلوه فى باب تاريخ العصور المظلمة .. وانهم بدلا من أن يتناولوا بالدراسة الجهود الحضارية والفكرية التى بذلها العرب فى تاريخهم اتجهوا الى جوانب الضعف فى هذا التاريخ فركزوا عليها أبحاثهم .. لذلك فان كتب التاريخ التى كتبها الاستعماريون أهملت الجوانب المشرقة فى تاريخنا لتبرز جوانب الضعف أو الجوانب المكذوبة » .

وبالاضافة الى ذلك فانهم حينما بحثوا عن التراث الحضارى العلمى أو الفنى أو الفكرى اتجهوا فى بحوثهم اتجاها استعماريا فهم « ينكرون على علمائنا الاصالة الفكرية ، وكل ما أتوا به انما هو ترجمة لشرح أو تكرار للفلسفة اليونانية أو للفقه الرومانى أو لفن المعمار الغربى أو لفن النقش والرسم الاسبانى أو الموسيقى الاجنبية ، وكل أصالة فكرية فى أدبنا تعود عندهم الى أصول يونانية أو أجنبية ، بواسطة الوراثة الجنسية عن جد قديم أو جدة أعرق فى القدم » .

ثم وضح أنه نتج عن طريق الغزو الفكرى للغة أن صارت الآن اللغة العربية فى بعض البلاد العربية لغة متخلفة وغريبة فى كل المجالات الفكرية وبين الباحث تأثير ذلك فى المغرب بقوله « أصبحنا نتكلم بلغة ونفكر وندير ونتعامل بأخرى بل ان اللغة الغازية احتفظت بمكانتها فلا تكاد تخرج المتعلم منا صفة مجال الحديث العادى حتى يلتجىء اليها لتساعده فى التعبير عن أفكاره ، ولو كانت أفكارا مجردة لا علم فيها ولا تقنية » .

ويشير المقال فى النهاية الى أننا اذا كنا ضحية لهذا الغزو فى ماضينا فيجب ونحن نبحث عن الحياة الأفضل فى حاضرنا ومستقبلنا أن نتخلص من هذا الغزو الفكرى كما تخلصنا من الغزو السياسى والاستعمارى ، والادب باعتباره الوسيلة الاولى لبث الوعى وتحرير الفكر من رواسب التخلف وانقاذ المجتمع من الانحلال ، يجب أن يخوض المعركة ضد هذا الغزو ، فعن طريق القلم كما بين الباحث نستطيع أن نصحح الاوضاع التى استهدفت للانحراف والتزييف ، ونبصر الامة العربية بقيمة اللغة العربية ، وتراثها الحضارى والفكرى ، ونحرر الفكر العربى من التعبير للقيم الفكرية والعلمية المزعومة التى نشرها بين الباحثين علماء ومستشرقون استهدفوا بأبحاثهم الانحرافية تزييف التاريخ والتنكر لحقائق العلم .

• مصطفى عبد الرازق :

نشر الدكتور « محمد مصطفى حلمى » فى عدد يونية ١٩٦٥ من مجلة « الفكر المعاصر » ترجمة لحياة وأعمال رائد المدرسة الاسلامية الحديثة المغفور له الشيخ «مصطفى عبد الرازق» ومهد الدكتور حلمى لبحثه بكلمة جامعة قال فيها عنه «كان انسانا ولكنه لم يكن كغيره من الناس ، وكان عالما وفيلسوفا ، ولكنه لم يكن كغيره من العلماء والفلاسفة ، وكان وزيرا ، ولكن لم يكن كاشباهه من الوزراء ، وكان شيخا للازهر واماما للمسلمين ، ولكنه لم يكن من طراز من هو على رأسهم من خاصة رجال الدين وعامة المسلمين ، وانما كان هذا كله ، وكان أشياء غير هذا كله » ثم كشف عن جوانب من حياته ، من ذلك

أنه لما اختير ليكون شيخا للازهر رأى أن رتبة الباشوية التي كانت له وهو وزير للأوقاف أصبحت غير ملائمة لمنصب ديني وروحي عظيم ٠ فتخلى عنها وآثر عليها منصب شيخ الازهر ظانا أنه سيستطيع أن يحقق من الاصلاح ما لم يستطع أن يحققه أستاذه الامام الشيخ محمد عبده ٠

ثم تحدث عن منهجه في البحث فبين أنه كان لا يغادر مقدمة من المقدمات الا أحصاها ولا جزئية من الجزئيات الا استقصاها ولا فكرة من الافكار المتصلة بموضوع بحثه الا ردها الى بدايتها وأصلها حتى يبلغ بها منتهاها ، واستدل على ذلك بأن الشيخ « مصطفى عبد الرازق » حينما أراد أن يثبت أن الاجتهاد بالرأى كانت له بداية فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، أورد حديث الرسول لمعاذ لما بعثه الى اليمن وقال له « كيف تصنع ان عرض لك قضاء؟ قال : أقضى بما فى كتاب الله ٠٠ فان لم يكن فى كتاب الله فبسنة رسول الله ، فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد برأيى لا آلو »

ومن هنا كان الاجتهاد بالرأى هو بداية النظر العقلى عند المسلمين وذلك « قبل أن تفعل الفلسفة اليونانية فعلها فى توجيه النظر العقلى عند المسلمين الى البحث فيما وراء الطبيعة والالهيات على أنحاء خاصة » ٠

ثم وقف الباحث عند المؤلفات التى تركها المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرازق وعد منها « مذكرات يومية » و « محاضرات عن الشيخ محمد عبده » و « ترجمة فرنسية لرسالة التوحيد للشيخ محمد عبده » وكتاب عن « البهاء زهير » والامام الشافعى » و « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » ، و «فيلسوف العرب والمعلم الثانى » وهو فى هذا الكتاب يتحدث عن فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب الكندى ، والمعلم الثانى أبونصر الفارابى، والشاعر أبوالطيب المتنبى، وبطليموس العرب الحسن بن الهيثم، وشيخ الاسلام ابن تيمية ٠ وذكر أخيرا كتاب « الدين والوحى والاسلام » ٠

« محمد العوانى »

« بقية المنشور على صفحة ٤٥ »

الديوان ثلاث قصائد تدور حول الموت ، ذلك الرابض فى أفراغ الحياة يتربص بكل حى متى يواريه التراب !! وأعظم هذه القصائد هى « سارق الضياء » وفيها :

باقه يا تراب   يا عازف الخراب
يا مشجى السكون   بضجة المنون
باقه يا تراب   اما لديك باب ؟
يخفيك عن عيونى   وعن مدى ظنونى
فلم تزل حياتى   تزيد كل آن
لأملا الكئوسا   وأثمل النفوسا
وأحرق العبيرا   لأسلى الصدورا
باقه يا تراب   لا ترفع الحجاب

ضراعة القانين التى ما لجوا بالاسى فيها الا وزاد اليأس من الحياة توقدا واشتعالا فى نفوسهم أمام اسرار الموت فى زحفه بالناس تحت التراب ٠

ولكن الشاعر كان قد وجد المخرج من هذه المشكلة التى طالما دارت حولها حيرة العقل البشرى ، والتى يتوهم كل انسان فى حدة أنه قد وجد لنفسه مخرجا منها فى معتقد أو رأى أو فكرة خاصة أحيانا وعامة فى معظم الأحيان ٠ والمخرج من هذه المشكلة على الدوام ليس القدرة على الفرار من الموت ، ولكنه الاطمئنان الى موقف عقلى معين تجاه الموت بحيث لا ينتفى وجوده بل يصبح احتماله ــ فى أحسن الاحوال ــ مستطاعا والفزع منه أقل مرارة، وقد وجد شاعرنا ــ كما قلت سابقا ــ ما يستند اليه فى مواجهة تلك التجربة المحتومة ، اذ قال فى ختام قصيدة « ثورة الطبيعة » أو « الزلزال » :

يا بنت أهوال الطبيعة انها
أم يلد العفو عن عنوانها
حسناء ساحرة ، يعابث سحرها
بالموت ، فالنفرى لها زلاتها

واصغى لغريد كجرحك جرحه
والنفس كم شقيت بسر حياتها
غنى أسى الزلزال فى أنشودة
سوداء قانية على أعاتها

صور الفناء تطوف حول رنينها
وصدى الخلود يرن من أبياتها

فالشاعر فى هذه الأبيات وخاصة الاخير منها قد ألمح ــ وان لم يلتفت التفاتا كاملا ــ الى بعض ما استقر فى نفسه من تسليم بفناء وجوده الحسى واقتناع باستمرار وجوده الحقيقى ، وجوده الشعرى ، فى أعماله الشعرية التى « يرن صدى الخلود من أبياتها » ٠

واخيرا ٠٠ فهذه المقدمة هبة لديوان عظيم ، مسسته فيها مسا رقيقا أخشيته من التوغل فى أعماق الشعر الفنية والفلسفية وهى بعيدة الغور اذ يحتاج هذا الى التعرض لكل دواوين محمود حسن اسماعيل السابقة مما قد لا يحتمله هذا المجال جملة ، وليس يجمع شعر فى قبضة واحدة وان اتسعت ، وخاصة اذا كان كشعر شاعرنا هذا مما يرهق القارىء فى متابعته على الآفاق التى يحلق فيها فضلا عن دراسته لغزارة التجارب الانسانية والفنية التى تكمن وراء كل كلمة بل كل حرف وقعه الشاعر على رباب الشعر٠

« **على ذو الفقار شاكر** »

قصة قصيرة للكاتب ليو تولستوى

فى السجن الطويل

ترجمة : نبيل اسلام

عاش في بلدة فلادمير تاجر - يدعى ايفان ديمتريس اكسيونوف - يملك منزلا ومحلين تجاريين ، وهو شاب وسيم مرح مغرم بالغناء ، وقد ادمن الخمر قبل زواجه فكان يفرط فيها حتى يفقد وعيه ، ولكنه اقلع عنها بعد ان تزوج اللهم الا مرات قليلة متباعدة .

وفي صيف احد الاعوام اراد السفر الى سوق نيزهنى ، وبينما هو يودع اسرته قالت له زوجته :

- لا تسافر هذه المرة يا ايفان فقد رايت حلما مزعجا .

فرد عليها ضاحكا :

- بل انت تخافين ان اعود للخمر اذا ذهبت الى السوق .

فقالت :

- لا ادرى تماما ، كل الذى اعرفه انه كان حلما اخافنى ، فقد حلمت انك عدت ولما خلعت قبعتك رايت شعرك قد شاب .

فقهقه ضاحكا وقال :

- يا له من فال طيب ، وسترين ، فسوف ابيع كل بضاعتى واحضر لك معى هدايا كثيرة من السوق .

وهكذا ودع اسرته وذهب .

وفي الطريق قابل تاجرا يعرفه ، ونزلا معا في احد الفنادق ليقضيا الليلة ، وبعد ان شربا الشاى سويا ذهب كل منهما الى فراشه في حجرتين متجاورتين . وقبل الفجر استيقظ اكسيونوف ، فقد كان يفضل ان يبدأ السفر قبل حرارة الشمس ، وايقظ سائقه وطلب منه ان يعد الخيل ، واتجه هو الى صاحب الفندق (وكان يسكن في كوخ وراء الفندق) ودفع له حسابه ثم واصل رحلته .

وبعد ان قطع حوالى خمسة وعشرين ميلا توقف في احد الفنادق ، فتناولت الخيل طعامها ، واستراح هو قليلا ثم طلب ان يعد له ابريق من الشاى ، وخرج الى مدخل الفندق وجلس هناك ، واحضر قيثارته ، واخذ يعزف عليها ، وفجاة اقبلت عربة تدوى وتجلجل ، ونزل منها ضابط شرطة ووراءه جنديان ، واتجه الضابط الى اكسيونوف مباشرة وساله عن شخصيته والمكان الذى جاء منه ، فاجابه اكسيونوف في بساطة وهدوء ، ثم اضاف يدعوه الى الشاى .

ولكن الضابط استمر في اسئلته : « اين امضيت الليلة السابقة ؟ وكنت بمفردك ام كان معك تاجر اخر ؟ وهل رايت هذا التاجر في الصباح ؟ ولماذا رحلت من الفندق قبل الفجر ؟ »

فاخبره اكسيونوف بكل ما حدث ثم ساله متعجبا :

- لماذا تستجوبنى هكذا كما لو كنت لصا ؟ اننى مسافر لاعمالى الخاصة ولا ارى اى داع للتحقيق معى .

وعندئذ اجاب الضابط :

- اننى ضابط الشرطة هنا ، وجئت لاستجوابك فقد عثر على زميلك التاجر مذبوحا في سريره هذا الصباح ونريد ان نفتش متاعك .

ثم نادى على الجنديين ودخلوا الى الفندق ، وفكوا حاجياته واخذوا يبحثون فيها . وفجاة اخرج الضابط من حقيبة اكسيونوف سكينة ملطخة بالدم وهو يصرخ فيه :

- سكينة من هذه ؟ وما هذا الدم الذى عليها ؟ .

وجمد اكسيونوف مكانه ، حاول ان ينطق بشيء ولكنه لم يستطع ، واخيرا غمغم في خوف :

- لا اعرف .. انها ليست سكينتى .

فرد عليه الضابط :

- انت الوحيد الذى كان في استطاعته ان يقتله ، فالفندق كان موصدا من الداخل ، ولم يكن هناك احد غيركما . ثم ها هى السكين في حقيبتك والدم عليها . لا داعى للانكار . اعترف كيف قتلته وكم من النقود سرقتها .

فاقسم اكسيونوف انه لم يقتل احدا ، وانه لم ير التاجر بعد ان شرب معه الشاى ، وان السكينة ليست سكينه ، وانه ليس معه الا نقوده وهى الثمانية آلاف روبل . ولكنه كان يرتعد ، وكان صوته متقطعا ، ووجهه شاحبا كانه مذنب فعلا .

وعندئذ اصدر الضابط امره فقيد الجنديان قدمى اكسيونوف والقياه في العربة ، وسيق الى اقرب مدينة ليسجن فيها ، وفي العربة انطوى اكسيونوف على نفسه وسالت دموعه ، ثم صودرت امواله وبضائعه ، وجرت استفسارات عن شخصيته في فلاديمير ، وقال عنه اهلوها وتجارها انه كان في ماضيه سكيرا الا انه مع ذلك انسان طيب ، ثم قدم للمحاكمة متهما بقتل التاجر وسرقة عشرين الفا من الروبلات .

اما زوجته فقد يئست وتملكتها حيرة شديدة . لم تعد تعرف اى قول تصدق واى شيء تفعل . حملت طفليها الصغيرين ، وكان احدهما ما زال رضيعا وذهبت بهما الى المدينة التى سجن فيها ، ولم يسمح لها في بادىء الامر برؤيته ، وبعد استجداء كثير صرح لها المسئولون بذلك . وسيقت اليه ، ولما راته بين اللصوص والمجرمين .. مقيدا بالسلاسل ويرتدى ملابس السجن خرت

مغشيا عليها . وبعد برهة الفاقتوبدات تتمالك نفسها ثم جذبت اليها طفليها وجلست الى جواره واخذا يتحدثان . وروى لها كل ما حدث .

فسألته :

ـ وماذا ستفعل ؟

ـ يجب ان تقدم التماسا للقيصر حتى لا يسمح بادانة رجل برىء .

فعرفته انها قدمت فعلا التماسا للقيصر ولكنه رفض . فصمت اكسيونوف وخفض بصره الى الارض مهموما فاقد الأمل . وهنا قالت له زوجته :

ـ اتذكر ذلك الحلم الذى رأيته ؟ كان عليك الا تسافر .

ثم مدت يدها وتحسست باصابعها شعره وقالت له :

ـ حبيبى فانيا .. انا زوجتك .. اخبرنى بالحقيقة احقا انت الذى قتلته ؟ .

فاجابها ماخوذا :

ـ حتى انت ايضا تشكين فى براءتى !

ثم خبأ وجهه فى راحتيه واخذ يبكى .

وفى تلك اللحظة اقبل احد الحراس وامر الزوجة بالانصراف فودع اكسيونوف اسرته .. للمرة الأخيرة .

وبعد ذهابهم اخذ يستعيد فى فكره كل ما قالوه ، وكيف ان زوجته اصبحت هى ايضا تشك فى براءته . فقال فى نفسه :

ـ لم يعد لى الا الله فهو وحده الذى يعرف الحقيقة ، وهو وحده الذى علينا ان نتوجه اليه ونلتمس منه الرحمة .

ثم فقد كل امل ، ولم يكتب اى التماس الا انه استمر يصلى لله .

وادين ، وصدر الحكم عليه ، وجلد بالسياط،وبعد ان التأمت جروحه نفى الى سيبيريا .

ومضت ستة وعشرون عاما عاشها اكسيونوف فى سيبيريا .. شاب فيها شعره وطالت لحيته ، وانحنى ظهره ، وولى كل مرحه وحيويته فاصبح يسير فى تؤدة ولا يتكلم الا قليلا ولا يضحك ابدا ، الا انه داوم على صلاته .

وتعلم فى السجن صناعة الأحذية ، وكسب منها بعض مال قليل اشترى به كتاب حياة القديسين ، وكان يقرأ فيه كلما وجد ضوءا كافيا ، كما كان يذهب الى الكنيسة فى ايام الآحاد فيقرأ الدروس ويشترك فى التراتيل الدينية فقد كان صوته ما يزال على جماله .

واحبه المسئولون فى السجن لوداعته ، واحترمه زملاؤه : نادوه احيانا بالجد واحيانا اخرى بالقديس ، والنابوه للتحدث باسمهم امام رجال السجن اذا ارادوا منهم شيئا ، كما كانوا يلجأون اليه اذا ما نشبت مشاجرات حتى يحكم هو بينهم .

وانقطعت عنه اخبار اسرته ، واصبح لا يعرف شيئا عنهم ولا يدرى هل ماتوا ام انهم ما زالوا احياء .

وحدث فى احد الايام ان جاءت الى السجن جماعة من المسجونين الجدد ، وفى المساء التف حولهم المسجونون القدامى .. كل يستفسر عن اهله وبلده ، ويسالونهم عن الجرائم التى ارتكبوها وبالقرب منهم جلس اكسيونوف ينصت الى ما يقولون فى ذلة وانكسار .

ثم بدأ واحد من المسجونين الجدد ـ وكان رجلا فى الستين من عمره ضخم الجثة وله لحية كثة يتخللها الشيب ـ يقص عليهم جريمته قائلا :

ـ كل ما فى الأمر اننى اخذت حصانا كان مربوطا فى عربة ، ثم قبض على ، واخبرتهم اننى اعرف سائق العربة واننى لم آخذ الحصان الا لأننى كنت متعجلا فى العودة الى المنزل ، فلم اكن اقصد سرقته ، بل كنت سأتركه يعود بعد ذلك.فقالوا : « لا انك سرقته » . وهكذا جئت الى هنا بلا سبب . مع اننى فى احدى المرات ارتكبت جريمة وكنت استحق ان يحكم على بسببها الا انه لم يقبض على . لا ، وقد جئت الى هنا فى مرة من قبل ولكننى لم ابق طويلا .

فسأله احدهم :

ـ من اين انت ؟

ـ من فلاديمير وعائلتى تعيش هناك . واسمى ماكار ويناديوننى احيانا بسيميونيتش .

وهنا سأله اكسيونوف :

ـ خبرنى يا سيميونيتش الا تعرف عائلة التاجر اكسيونوف فى فلاديمير ؟ هل هم ما زالوا احياء ؟

ـ اعرفهم ! طبعا اعرفهم ، انهم اغنياء ولكن اباهم هنا فى سيبيريا محكوم عليه مثلنا اما انت ايها الجد فكيف جئت الى هنا؟

فتنهد اكسيونوف وقال فى صوت خفيض :

ـ من اجل ذنوبى سجنت هذه الأعوام الستة والعشرين .

ـ اى ذنوب هذه ؟

ولم تكن عند اكسيونوف رغبة فى ان يحكى شيئا عن محنته وانما اكتفى بقوله :

ـ لابد اننى كنت استحق كل هذا .

ولكن زملاءه رووا للمسجونين الجدد قصته ، وكيف انه قد حكم عليه ظلما بعد ان قتل شخص مجهول زميله التاجر ثم خبأ السكينة فى حقيبته . وهنا نظر اليه سيميونيتش متعجبا وصرخ فيه :

ـ يا للعجب ! حقا كم هو شىء عجيب ! ولكن لماذا صرت عجوزا هكذا ايها الجد ؟

فسألوه عن سبب اندهاشه واين رأى اكسيونوف من قبل ، ولكنه لم يجبهم عن ذلك بشىء وانما قال :

ـ عجيب ان نلتقى هنا يا اولادى !

حيرت هذه الكلمات اكسيونوف فسأله :

ـ ربما كنت تعرفنى من قبل يا سيميونيتش او سمعت شيئا بخصوص هذه الجريمة ؟

ـ ان العالم ملىء بالاشاعات ، ولكن ذلك كان منذ وقت طويل، وقد نسيت ما سمعته .

ـ ربما كنت تعرف من الذى قتل التاجر ؟

فقهقه ماكار ضاحكا ، ثم اجاب :

ـ لابد انه هو الذى وجدت السكين فى حقيبته ، واذا كان هناك آخر قد قتله فهو ـ كما يقول العرف ـ ليس بالجانى حتى يتم القبض عليه . ثم كيف يستطيع شخص ان يضع سكينة فى حقيبتك وهى تحت رأسك ؟ لابد انك كنت مستيقظا ؟

وعندئذ تسرب الى نفس اكسيونوف شك فى ان يكون هـذا الرجل هو القاتل ، فنهض وذهب ·

وامضى طوال هذه الليلة ارقا ·· حائرا ، يتوالى فى خيـاله شريط متسلسل من صور الماضى واحداثه : راى اسرته كما كانت وهو يودعها قبل سفره ·· راى زوجته امامه بشخصها ·· وسمعها تتحدث وتضحك ·· ومعها طفلاها صغيران جدا ·· واحـدهما ما زال رضيعا فوق صدرها · ثم راى نفسه شابا نشيطا مرحا وقد جلس فى مدخل الفندق يعزف على قيثارته حيث قبض عليه هناك · وتذكر كيف عذب ·· وكيف اهين ، ثم راى المكان الذى جلد فيه ·· والجلاد ·· والناس من حوله ·· والسلاسـل ·· والمحكوم عليهم ، وتتابعت امام عينيه اعوام سجنه كلها بما فيها من شقاء وعذاب جعلاه يشيخ قبل الأوان ، وزادته هذه الافكار هما ويأسا حتى وجد نفسه يفكر فى الانتحار · وتزايدت نقمته على ماكار سيميونيتش وتاججت فى صدره نيران الحقد تدفعه الى الانتقام حتى ولو هلك معه ، وحاول بعد ذلك ان يهدىء من نفسه فامضى بقية الليلة مرددا صلواته الا ان هواجسـه وظنونه لم ترحه ·

ومر اليوم التالى ولم يحاول ان يقترب منه او يوجه اليه نظرة

ثم مر اسبوعان لم ينم فيهما ليلة واحدة ، وتزايد شـقاؤه وحيرته ، ولم يعد يدرى ماذا يفعل ·

وفى احدى الليالى وبينما كان اكسيونوف يتجول فى السجن راى بعضا من التراب يتدحرج من تحت واحد من ارفف النوم ، فوقف يستطلع الأمر · وفجاة خرج سيميونيتش من تحت هـذا الرف · وفى رعب رفع نظره الى اكسيونوف ، الذى اشاح ببصره عنه وحاول ان يمر ، ولـكن ماكار قبض على ذراعه واخبره انه يحفر فجوة تحت الحائط وانه فى كل يوم يضع التراب فى حذائه ويفرغه فى الطريق عندما يساقوا الى عملهم واكمل :

ـ عليك بالصمت وسوف اساعدك فى ان تهرب معى ، اما اذا افشيت السر فساجلد حتى الموت ولكننى ساقتلك قبل ذلك ·

وارتعد اكسيونوف غضبا ، ونظر الى عدوه ثم ازاح يده وهو يقول :

ـ انا لا اريد ان اهرب ، وانت لم تعد فى حاجة الى قتلى ·· لقد قتلتنى منذ وقت طويل ! اما عن سرك فربما افشيته وربما لا فذلك رهن بمشيئة الله ·

وفى اليوم التـالى اكتشف الحراس وجود التراب مكوما فى الطريق ، وعرفوا انه لابد ان يكون احـد المسجونين هو الذى نقله الى هناك فى حذائه ، وفتش السـجن ، وعثر على الفجوة المحفورة تحت الحائط · وجاء مامور السجن واخـذ يستجوب المسجونين ولكنهم انكروا جميعا معرفتهم بالذى فعلها فهؤلاء الذين كانوا على علم بالحقيقة لم يريدوا كشف سر ماكار فقـد كانوا يعرفون ان جزاءه سيكون الجلد حتى الموت · واخـيرا التفت المامور الى اكسيونوف وقال له :

ـ وانت ايها الرجل العجوز · انا اعرفك صـادقا دائما · اشهد بالحق امام الله · من الذى حفر هذه الفجوة ؟

ووقف ماكار ينظر الى المامور ·· ثم الى اكسيونوف ·· بلا اكتراث وكان الأمر لا يعنيه ، وارتعدت شفتى اكسيونوف واطرافه ومرت لحظة لم يستطع ان ينطق فيها بشىء · كان يحـدث نفسه :

ـ لم آتستر عليه وهو الذى حطم حياتى ؟ فلاتركه يدفع جزاء ما قاسيت · ولكن اذا اعترفت بالحقيقة فسوف يجلد حتى يموت، ومن المحتمل ان يكون شكى فيه خاطئا · لم بعد كل هذا فاية فائدة تعود على ؟

وكرر المامور قوله يامره بان يعترف بالحقيقة،ونظر اكسيونوف الى ماكار ، ثم حول بصره الى المامور وقال :

ـ اقسم لك انى لا استطيع ان اقول شيئا · ان الله لا يشاء ان اعترف وتستطيع ان تفعل بى ما تشاء فانا بين يديك ·

ومع ان المامور حاول معه كثيرا الا انه لم يقل شيئا آخر · وانتهى الموضوع · وفى تلك الليـلة وبينما كان اكسيونوف مستلقيا فى سريره وقد بدا النعاس يستولى عليه راى رجلا مقبلا ناحيته فى هدوء ، ثم جلس بجانبه فوق السرير ، فبحلق فيـه فى الظلام ، وعرفه ·· كان ماكار سيميونيتش ·

فساله اكسيونوف :

ـ ما الذى تريده منى بعد ذلك ؟ لم جئت ؟

وصمت ماكار · فهب اكسيونوف وهو يقول محتدا :

ـ ماذا تريد ؟ اذهب عنى والا ناديت الحراس ·

فانحنى فوقه ماكار حتى كاد ان يلتصق به وهمس :

ـ ايفان ديمتريش ·· سامحنى !

فساله اكسيونوف :

ـ اسامحك ! لماذا ؟

ـ انا الذى قتلت زميلك التاجر فى الفنـدق ، ودخلت عليك اريد قتلك ايضا ولكننى سمعت صوتا بالخارج فخبات السكين فى حقيبتك ثم هربت من النافذة ·

صمت اكسيونوف لا يدرى ماذا يقول · وهنا ركع امامه ماكار سيميونيتش فوق الارض وقال :

ـ ايفان ديمتريتش ··استحلفك بالله ان تسامحنى·ساعترف اننى انا القاتل وسوف يطلق سراحك ، ويمكنك ان تعود بعـد ذلك الى بيتك ·

ـ قد يكون من السهل عليك ان تعترف ولكن ما القى ما نلته انا من عذاب طوال هذه الاعوام · وكان كله بسببك انت · والآن الى اين اذهب · لقد ماتت زوجتى ونسينى اولادى · لم يعد لى مكان ولا اهل ···

ولم يقم ماكار وانما دق براسه على الارض وهو يصرخ :

ـ ايفان ديمتريتش ·· ارجو ان تسامحنى ! اننى وانا اراك امامى الآن بعد ان اشفقت على ولم تكشف سرى ، احس بعذاب اشد الما من وقع السياط · اننى لم اعد احتمل ·· اسـتحلفك بالمسيح ان تغفر لى ·

وبدا ينهنه بالبكاء ، وعندئذ بكى اكسيونوف ايضا وهمس :

ـ فليغفر الله لك ، ربما كنت انا قد ارتكبت اسوا مما فعلته انت مائة مرة ·

ومع تلك الكلمات احس اكسيونوف بقلبه يشع بالنور،وولت عنه كل رغبة فى ان ينال حريته او يعود لأهله وبيته ، واصبح امله الوحيد هو ان تحين ساعته الأخيرة ·

ثم اعترف ماكار سيميونيتش بجريمته ، ولكن قبل ان يصل امر الافراج كان اكسيونوف قد مات ·

نبيل اسلام

أسبوع الكتاب العربي

الجمهورية العربية المتحدة
الثقافة والإرشاد القومي

١٩٦٥

- معرض الكتاب العربي يشترك فيه ٥٧ هيئة .
- مؤتمر عام لمناقشة مشاكل الكتاب العربي .
- معرض لتطور فن الطباعة .
- معرض للفنون التشكيلية .
- ندوات لكبار الكتاب .
- عروض سينمائية .



شبين الكوم

من ١٢ إلى ١٨ يونيه سنة ١٩٦٥

بنادى الموظفين


الثقافة
اسبوعية
تصدر كل ثلاثاء
الرسالة
اسبوعية
تصدر كل خميس
المجلة
شهرية
تصدر يوم (٥)
الشعر
شهرية
تصدر يوم (١٠)
القصة
شهرية
تصدر يوم (١٥)
مجلات
الثقافة والإرشاد القومي